الكلمة الغراء
في
تفضيل الزهراء "ع"

الامام عبد الحسين شرف الدين الموسوي
قدس الله سره

دار الزهراء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت ـ لبنان



الكلمة الغراء

في تفضيل الزهراء (ع)

الكلمة الغراء

في

تفضيل الزهراء "ع"

تأليف

الامام عبد الحسين شرف الدين الموسوي

قدس الله سره

دار الزهراء

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وسلم تسليما كثيرا .

وبعد فهذه هي (الكلمة الغراء) في تفضيل فاطمة الزهراء عليها السلام ألقيتها (١) جوابا لمن سألني فقال :

هل للامامية دليل يعتبره خصومهم في تفضيل فاطمة الزهراء على سائر هذه الامة ، وما ذلك الدليل والحجة ؟ ارجو التفصيل .

---

(١) بسم الله وعلقت عليها تعليقة تكشف عن دقائق اغراضها ولطيف اشارتها ، وجعلتها تحت الخط في اسفل صفحاتها فلا تفوتن الباحثين مطالعتها .

عبد الحسين شرف الدين الموسوي

بسم الله الرحمن الرحيم

ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، وتلك السنة لا شبهة فيها لاحد من المسلمين ، وناهيك بهما قولا فصلا لا يجحده جاحد ، وحكما عدلا لا يكابره معاند ، فهنا مطلبان :

المطلب الأول

في دلالة الكتاب ، وحسبك من محكماته البينات آية المباهلة وآية التطهير وآية المودة في القربى وآيات الابرار ادلة قاطعة تظل اعناق الورى لها خاضعة فهنا فصول اربعة

الفصل الأول

في آية المباهلة ، وهي قوله عز من قائل في سورة آل عمران : « فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » .

أجمع اهل القبلة حتى الخوارج منهم ، على ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يدع للمباهلة من النساء سوى بضعته الزهراء ، ومن الابناء سوى سبطيه وريحانتيه من الدنيا ، ومن الانفس الا اخاه الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى فهؤلاء اصحاب هذه الآية بحكم الضرورة التي لا يمكن جحودها ولو لم يشاركهم فيها احد من العالمين، كما هو بديهي لكل من ألم بتاريخ المسلمين وبهم خاصة نزلت(٢) لا بسواهم .

---

(٢) فيما علمه المسلمون واخرجه المحدثون عن اعـــلام =

فبأهل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهم خصومه من اهل نجران فبهلهم ـ وامهات المؤمنين رضي الله عنهن كن حينئذ في حجراته صلى الله عليه وآله وسلم ، فلم يدع واحدة منهن وهن بمرأى منه ومسمع ، ولم يدع صفية وهي شقيقة ابيه وبقية اهليه ، ولا ام هاني ذات الشأن والمكانة وهي كريمة عمه الفارج لهمه ذي الايادي التي هي مـن المسلمات طوق الهوادي ، ولا دعا غيرها من عقائل الشرف والمجد وخفرات عمرو العلي وشيبة الحمد ، ولا واحدة من نساء الخلفاء الثلاثة وغيرهم من المهاجرين والانصار .

كما انه لم يدع مع سيدي شباب اهل الجنة احدا من

= الصحابة رضي الله عنهم ، وقد رواه الامام الواحدي في كتابه اسباب النزول بسنده عن جابر ابن عبد الله ـ وكان الشعبي يفسر الآية فيقول : ابناءنا الحسـن والحسين ، ونساءنا فاطمة ، وانفسنا علي بن ابي طالب رضي الله عنهم . كذا في صفحة ٧٥ من اسباب النزول للواحدي حيث ذكر فيه آيـة المباهلـة . واخرج الدارقطني كما في الآية التاسعة من الآيات التي اوردها ابن حجر في الباب ١١ من صواعقه ان عليا يوم الشورى احتج على اهلها فقال لهم : انشدكم بالله هل فيكم احد جعله الله نفس النبي وابناءه ابناءه ونساءه نساءه غيري؟ قالوا : اللهم لا ... الحديث .

ابناء الهاشميين على انهم كانوا (اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) ولا دعا احدا من ابناء الصحابة على كثرتهم ووفور فضلهم .

وكذلك لم يدع من الانفس مع علي عمه وصنو ابيه العباس بن عبد المطلب وهو شيخ الهاشميين واجود القرشيين واعظم الناس (٣) عند رسول الله (ص) بل لم يدع احدا من كافة عشيرته الاقربين ولا واحداً من السابقين الاولين رضي الله تعالى عنهم اجمعين ، وكانوا بمرأى من المباهلة ومسمع ومنتدى من اهلها ومجمع ، فلم ينتدب واحدا منهم مع من انتدبهم اليها ، بل لم ينتدب احدا من سائر اهل الارض بالطول والعرض ، وانما خرج (ص) كما نص عليه الرازي في تفسيره الكبير وعليه مرط من شعر اسود وقد احتضن الحسين واخذ بيد الحسن وفاطمه تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول : اذا انا دعوت فأمنوا . فقال اسقف نجران : يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا لازاله بها فلا تباهلوهم فتهلكوا ولا يبقى

---

(٣) فيما أخرجه البغوي في ترجمة ابي سفيان بن الحارث عن ابيه كما في ترجمة العباس من الاصابة .

على وجه الارض نصراني الى يوم القيامة (٤) .

بخ بخ ان من وقف على هذه الوهلة العظيمة والروعة الشديدة التي رهقت اعلام نجران وممثلي دينها

---

(٤) وهذا الحديث ذكره المفسرون والمحدثون واهل السير والاخبار وكل من ارخ حوادث السنة العاشرة للهجرة وهي سنة المباهلة . قال الرازي بعد ايراده في تفسيره الكبير : واعلم ان هذه الرواية كالمتفق على صحتها بين اهل التفسير والحديث . قلت : بل هي كالضروريات لديهم فلا يجهلها منهم احد . وقد تصدى سيدنا الشريف المقدس ابن طاووس لتفصيل المباهلة ومقدماتها وما كان قبلها في نجران من المؤامرات والمناظرات في جلساتهم المتعددة المنعقدة لذلك حين دعاهم سيد الانبياء والمرسلين الى الله تعالى وارسل اليهم في ذلك رسله ، فليراجع كتاب الاقبال من اراد الوقوف على تفصيل تلك الاحوال ليرى اعلام النبوة وآيات الاسلام وبشائر النبيين بسيدهم محمد (ص) وبعترته الطيبين الطاهرين وبذريته المباركة من بضعته سيدة نساء العالمين . وكنت اردت ان اخرج هذه القصة من كتاب الاقبال وانشرها كرسالة على حدة تعميما لفوائدها وتسهيلا لطالبها ، ولعل بعض اهل الهمم العالية ممن حبسوا نفوسهم على نشر الحق يسبقني الى ذلك فأكون قد فزت بتنبيهه الى هذه المهمة ان شاء الله تعالى .

ودنياها (٥) بمجرد ان برز اصحاب الكساء لمباهلتهم يعلم ان لمحمد وآل محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم جلالة ربانية تغشي الابصار ومهابة روحانية يخفض لها جناح الذل والصغار الا ترى اولئك الابطال « وهم ستون فارسا من اسود الشرى وليوث الوغى » كيف ارتعدت فرائصهم قلقا وانخلعت قلوبهم فرقا ، ونادى عظيمهم بما سمعت هلوعا جزوعا • وليس الا للجلالة الربانية والعظمة الروحانية التي ادركها خصمهم من اول نظرة الى وجوههم

---

(٥) اذ وفدوا على رسول الله (ص) وعليهم ثياب الحبرات جبابا واردية يقول بعض من رآهم من اصحاب رسول الله (ص) ما رأينا وفدا مثلهم ، وكان فيهم اربعة عشر رجلا هم زعماء القوم ، وفي الاربعة عشر ثلاثة نفر اليهم يؤول الامر في نجران ، وهم « السيد » واسمه الايهم وهو امامهم وصاحب رحلهم ، و « العاقب » وهو امير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون الا عن رأيه واسمه عبد المسيح ، و « ابو حارثة ابن علقمة » وهو اسقفهم وحبرهم وامامهم وصاحب مدارسهم وكنائسهم ، وكان قد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم ، وكانت ملوك الروم قد شرفوه ومولوه وبنوا له الكنائس لعلمه واجتهاده. نقل ذلك كله الامام الواحدي في كتابه اسباب النزول وغير واحد من المفسرين واهل الاخبار .

المباركة ، فكأن الجلالة والعظمة والمهـابة والابهـة وقرب المنزلة من الله والكرامة عليه مكتوبة بنوره تعـالى ، في اسارير جبهاتهم الميمونة ومعنونة في صفحـات وجنـاتهم الكريمة ، واني لاعجب والله من المسلم لا يقدر هـذا المقام قدره .

وانت تعلم ان مباهلته صلى الله عليه وآله وسلم بهم والتماسه منهم التأمين على دعائه بمجرده لفضـل عظيم ، واتنخابه اياهم لهذه المهمة العظيمة واختصاصهم بهذا الشأن الكبير وايثارهم فيه على من سواهم من اهل السوابق فضل على فضل لم يسبقهم اليه سابق ، ولن يلحقهم فيه لاحق . ونزول القرآن العزيز آمرا بالمباهلة بهم بالخصوص فضل ثالث ، يزيد فضل المباهـلة ظهورا ويضيـف الى شرف اختصاصهم بها شرفا والى نوره نوراً .

وهناك نكتة يعرف كنهها علماء البلاغة ويقدرهـا الراسخون في العلم العارفـون بأسرار القرآن ، وهي ان الآية الكريمة ظاهرة في عموم الابناء والنساء والانفس كما يشهد به علماء البيان ، ولا يجهله أحد ممن عرف ان الجمع المضاف حقيقة في الاستغراق ، وانما اطلقت هذه العمومات عليهم بالخصوص تبيانا لكونهم ممثلي الاسلام واعلانـا

لكونهم اكمل الانام واذانا بكونهم صفوة العالم وبرهــانا على انهم خيرة الخيرة من بني آدم ، وتنبيها الى ان فيهم من الروحانية الاسلامية والاخلاص لله في العبودية ، ما ليس في جميع البرية ، وان دعوتهم الى المباهلة بحكم دعــوة الجميع ، وحضورهم خاصة فيها منزل منزلة حضور الامة عامة وتأمينهم على دعائه مغن عن تأمين من عداهم ، وبهذا جاز التجوز باطلاق تلك العمومات عليهم بالخصوص . ومن غاص على اسرار الكتاب الحكيم وتدبره ووقف على اغراضه يعلم ان اطلاق هذه العمومات عليهم بالخصوص انما هــو على حد قول القائل :

ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

ولذا قال الزمخشري في تفسير الآيــة من كشافه : وفيه دليل لا شيء اقوى منه على فضل اصحاب الكساء عليهم السلام اهـ .

بقيت نكتة يجب التنبه لها ، وحاصلها : ان اختصاص الزهراء من النساء والمرتضى من الانفس ــ مع عدم الاكتفاء بأحد السبطين من الابناء ــ دليل على ما ذكرناه من تفضيلهم عليهم السلام ، لان عليا وفاطمة لما لم يكــن لهما نظير في الانفس والنساء كان وجودهمــا مغنيــا عن وجود مــن

سواهما ، بخلاف كل من السبطين ، فان وجود احدهما لا يغني عن وجود الآخر لتكافئهما . ولذا دعاهما (ص) جميعا، ولو دعا احدهما دون صنوه كان ترجيحا بلا مرجح ، وهذا ينافي الحكمة والعدل . نعم لو كان ثمة من الابناء مـــن يساويهما لدعاه معهما ، كما انه لو كان لعلي نظير مـــن الانفس او لفاطمة من النســـاء لما حاباهما ، عملا بقاعدة الحكمة والعدل والمساواة .

بقي مما دلت عليه الآية من خصائص علي عليه السلام فضل تضمحل دونه الخصائص وتفنى في جنبـه الفضائـل والمناقب ، الا وهو كونه نفس النبي (ص) وجاريا بنـص الآية مجراه ، الفضل الذي تعنو له الجباه بخوعا وتطامن لديه المفارق خشوعا ويملأ الصدور هيبة واجلالا وتصاغر دونه الهمم يأسا من بلوغ مداه ، « **ذلك فضل الله** يؤتيه من يشاء والله ذو **الفضل العظيم** » .

وانت هداك الله اذا عرفت ان الله تبارك وتعالى قد انزل نفس النبي واجراها في محكم الذكر مجراها ، لا ترتاب حينئذ في انه افضل الامة واولاها برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيا وميتا وقد صرح اولياء اهـل البيت واعترف اعداؤهم بدلالة الآية على هذا التفضيل الخالد في

القرآن ذكره والطيب في بينات الفرقان نشره ، حتى ان الرازي مع غرامه بنقض المحكمات وهيامه في التشكيك والشبهات ، لم يناقش في دلالتها على هذا المقدار من تفضيله عليه السلام ، وانما ناقش المحمود بن الحسن حيث صرح بدلالتهما على تفضيله على من كان قبل محمد من الانبياء عليه وعليهم السلام .

واليك عبارة الرازي بعين لفظه قال : (٦) كان في الري رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي وكان معلم الاثني عشرية ، وكان يزعم ان عليا رضي الله عنه افضل من جميع الانبياء سوى محمد صلى الله عليه وآله وسلم واستدل على ذلك بقوله تعالى : « وانفسنا وانفسكم » اذ ليس المراد بقوله « وانفسنا » نفس محمد صلى الله عليه وسلم ، لان الانسان لا يدعو نفسه بل المراد غيرها ، واجمعوا على ان ذلك الغير كان علي بن ابي طالب (رض) فدلت الآية على

---

(٦) في تفسير آية المباهلة فراجع صفحة ٤٨٨ من الجزء الثاني من تفسيره الكبير « مفاتيح الغيب » ، والرازي هذا هو الخطيب محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي .

ان نفس علي هي نفس محمد (٧) ولا يمكن ان يكون المراد ان هذه النفس هي عين تلك ، فالمراد ان هذه النفس مثل تلك النفس ، وذلك يقتضي المساواة في جميع الوجـوه ، تركنا العمل بهذا العموم في حق النبوة وفي حق الفضل بقيام الدلائل على ان محمدا عليه الصلاة والسلام كان نبيا وما كان علي كذلك ، ولانعقاد الاجماع على ان محمـــدا عليه السلام كان افضل مـــن علي (رض) فبقي فيما وراءه معمولا به . ثم الاجماع دل على ان محمدا عليه السلام كان افضل من سائر الانبياء عليهم السلام ، فيلزم ان يكون علي افضل من سائر الانبياء .

فهذه وجه الاستدلال بظواهر هذه ، وامعن النظـــر تجده قد اوضح دلالة الآية على ذلك غاية الايضاح ، ونادى (من حيث لا يقصد) حي على الفلاح لم يعارض الشيعة

---

(٧) كما قيل في مديحه عليه السلام .

وهو في آية التباهل نفس الـ مصطفى ليس غيره اياهـــا

ولعلك اذا ضممت قوله « وانفسنا » الى قوله تعالى « ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه » وامعنت النظر في الآيتين يتجلى لك من الاسرار ما كان خفيا .

فيما نقله عن قديمهم وحديثهم ولا ناقشهم فيــه بكلمــة واحدة ، فانه اذهن لقولهم واعترف بدلالة الآية على رأيهم ، وانما ناقش المحمود بن الحسن كما لا يخفى على !ن الاجماع الذي صال به الرازي على المحمود لا يعرفه المحمود ومن يرى رأيه فافهم .

الفصل الثاني

في آية التطهير وهي قوله جل وعلا في سورة الاحزاب:
« انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا » لا ريب في ان اهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم في هذه الآية انما هم الخمسة « اصحاب الكساء » ، وكفاك هذا برهانا على انهم افضل من اقلته الارض يومئذ ومن اظلته السماء . الا وهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وصنوه الجاري بنص الذكر مجرى نفسه ، وبضعته التي يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها ، وريحانتاه من الدنيا سبطاه الشهيدان سيدا شباب اهل الجنة ، فهؤلاء هم اصحاب هذه الآية البينة (٨) بحكم الادلة

---

(٨) صرح بذلك ابو سعيد الخدري وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة وغيرهم فيما ذكره الامام البغوي وابن الخازن وكثير من المفسرين كما في المقصد الاول من الشرف المؤبد لآل محمد ومؤلفه يوسف بن اسماعيل

القاطعة والحجج الساطعة لم يشاركهم فيها احـد من بني آدم ، ولا زاحمهم تحت كسائها واحد من هذا العالم .

وقد اورد الامام جلال الدين السيوطي (٩) في تفسير هذه الآية من كتابه (الدر المنثور) عشرين رواية من طرق مختلفة في ان المراد من اهل البيت هنا انما هم الخمسة لا غير ، وذكر ابن جرير في تفسيره (١٠) خمس عشرة رواية بأسانيد مختلفة في قصر الآية عليهم بالخصوص .

وحسبك في ذلك قول رسول الله (١١) (ص) : أنزلت هذه الآية في خمسة في وفي علي والحسن والحسين وفاطمة (١٢) . وقد اجمعت كلمة اهل القبلة من اهل المذاهب

المعاصر النبهاني . ومن اراد تفصيل القول بنزول هذه الآية في الخمسة بالخصوص فعليه برشفة الصادي للامام ابي بكر بن شهاب الدين العلوي رضي الله عنه.

(٩) كما في المقصد الاول من الشرف المؤبد .

(١٠) كما في الشرف المؤبد ايضا .

(١١) فيما أخرجه ابن جرير والطبراني بأسانيدهم اليه (ص) وقد ذكره ابن حجر فيتفسير الآيةمن صواعقه والنبهاني في صفحة ٧ من الشرف المؤبد .

(١٢) واخرج الامام احمد بن حنبل كما في تفسير الآية من

الاسلامية كلها على انه (ص) لما نزل الوحي بها عليه ضم سبطيه واباهما وامهما اليه ثم غشاهم ونفسه بذلك الكساء، تمييزا لهم عن سائر الابناء والانفس والنساء ، فلما انفردوا تحته عن كافة اسرته واحتجبوا به عن بقية امته بلغتهم الآية وهم على تلك الحال حرصا على ان لا يطمع بمشاركتهم فيها احد من الصحابة والآل . فقال مخاطبا لهم وهم معه في معزل عن كافة الناس : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا » فأزاح (ص) بحجبهم في كسائه حينئذ حجب الريب وهتك سدف الشبهات ، فبرح الخفاء بحكمته البالغة وسقطت اشعة الظهور ببلاغه المبين . والحمد لله رب العالمين .

ومع ذلك لم يقتصر (ص) على هذا المقدار من توضيح اختصاص الآية بهم عليهم السلام ، حتى اخرج يده من تحت الكساء فألوى بها الى السماء فقال : اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، يكرر ذلك وامسلمة

الصواعق عن ابي سعيد الخدري انها نزلت في خمسة النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، واخرجه عن ابي سعيد ايضا الامام الواحدي عند بلوغه للآية من كتابه (اسباب النزول) والامام الثعلبي في تفسيره الكبير وكثيرون من المحدثين والمفسرين .

تسمع وترى اذ كان نزول الآية وقضية الكساء في بيتها ، فقالت : وانا معكم يا رسول الله ، ورفعت الكساء لتدخل فجذبه (١٣) من يدها وقال : انك على خير ، وفي ذلك كله صحاح متواترة من طريق العترة الطاهرة .

---

(١٣) اخرج الامام احمد بن حنبل في صفحة ٣٢٣ من الجزء السادس من مسنده عن ام سلمة قالت : ان رسول الله (ص) قال لفاطمة : ائتني بزوجك وابنيك ، فجاءت بهم فألقى عليهم كساء فدكيا ثم وضع يده عليهم ثم قال : اللهم ان هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد انك حميد مجيد . قالت : فرفعت الكساء لادخل معهم فجذبه من يدي وقال انك على خير ا هـ .

وهذا الحديث رواه بالاسناد الى ام سلمة ايضا ابو اسحاق الثعلبي في تفسيره وغير واحد من المفسرين والمحدثين . واخرج الامام احمد من حديث ام سلمة في صفحة ٢٩٢ من الجزء السادس من مسنده ان رسول الله (ص) كان في بيتها فأتته فاطمة ببرمة فيها حريرة فقال لها : ادعي زوجك وابنيك . فقالت ام سلمة : فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون معه وهو على منامة له ، على دكان تحته كساء خيبري . قالت : وانا اصلي في الحجرة ، فأنزل الله عز وجل « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا » قالت : فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم =

فيا أهل البصائر برسول الله (ص) العارفين بمبلغه من الحكمة والعصمة المقدرين قدر افعاله واقواله هل

= اخرج يده فالوى بها الى السماء ثم قال : اللهم هؤلاء اهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . قالت : فأدخلت رأسي البيت فقلت : وانا معكم يا رسول الله . قال : انك على خير انك على خير اهـ .

وهذا الحديث أخرجه الامام الواحدي في تفسير الآية من كتابه اسباب النزول، فراجع منه صفحة ٢٦٧، واخرجه ابن جرير في تفسير الآية من تفسيره الكبير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه والطبراني وغيرهم . واخرج الترمذي والحاكم وصححاه وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في سننه من طرق عديدة عن ام سلمة قالت : في بيتي نزلت هذه الآية وفي البيت علي وفاطمة والحسن والحسين، فجللهم رسول الله(ص) بكساء كان عليه ثم قال : اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً اهـ .

واخرج مسلم في باب فضائل علي من صحيحه عن عامر بن سعد بن ابي وقاص قال : امر معاوية بن ابي سفيان سعد فقال : ما منعك ان تسب ابا تراب ؟ فقال : اما ما ذكرت ثلاثا قالهن رسول الله (ص) فلن اسبه ، لان تكون لي واحدة منهن احب الي من حمر النعم ، سمعت رسول الله (ص) يقول له وقد خلفه في بعض مغازيه فقال له علي : يا رسول الله خلفتني=

تجدون وجها لحصرهم تحت الكساء عند تبليغهم الآية عن الله تعالى الا المبالغة البليغة في توضيح ما قلناه من اختصاصها

= مع النساء والصبيان ؟ فقال له رسول الله (ص) أما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبوة بعدي . وسمعته يقول يوم خيبر : لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبــه الله ورسوله . فتطاولنا لها فقال ادعوا لي عليا فأتي به ارمد فبصق في عينيه ودفع الراية اليه ففتح الله عليه . ولما نزلت هذه الآية « قل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم » دعا رسول الله عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال : اللهم هؤلاء اهلي اهـ .

وأخرج مسلم ايضا في باب فضائل اهل البيت من صحيحه وهو في صفحة ٣٣١ من جزئه الثاني عـــن عائشة قالت : خرج رسول الله غداة وعليه مرط مرجل من شعر اسود ، فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جــاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جــاء علي فأدخله ثم قال : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ــ اهـ .

وهذا الحديث اخرجه احمد من حديث عائشة في مسنده ، واخرجه ابن جرير وابن ابي حاتم والحــاكم وصاحب الجمع بين الصحيحين وصاحب الجمع بــين الصحاح الستة ، ومن اراد المزيــــد فعليه برشفــة الصادي للامام ابي بكر ابن شهاب الدين العلوي ، على ان في هذا المقدار كفاية لاولي الابصار .

وامتيازهم بها عن العالمين ؟ وهل تفهمون من قوله « اللهم هؤلاء اهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » الا الحصر بهم والقصر عليهم ؟ وهل ترون وجها لجذب الكساء من يد ام سلمة ومنعها من الدخول معهم على جلالة قدرها وعظم شأنها الا الذي ذكرناه ؟ فأين تذهبون وانى تؤفكون « انه لقول رسول كريم . ذي قوة عند ذي العرش مكين . مطاع ثم امين . وما صاحبكم بمجنون » .

فيكون بحجبه اياهم في كسائه عابثا ، او يكون بقوله (ص) « اللهم هؤلاء اهل بيتي » هاذيا ، او يكون بجذبه الكساء من يد ام سلمة مجازفا ؟! حاشا لله «ان هو الا وحي يوحى . علمه شديد القوى » .

وقد تكررت منه (ص) قضية الكساء حتى احتمل بعض العلماء تكرار نزول الآية ايضا ، والصواب عندنا نزولها مرة واحدة ، لكن حكمة الصادق الامين في نصحه ببلاغه المبين اقتضت تكرير تلك القضية مرة في بيت ام سلمة عند نزول الآية (١٤) وتبليغها لاهلها المخاطبين فيها ، واخرى في بيت فاطمة (١٥) وفي كل مرة يتلو عليهم الآية مخاطبا لهم بها ،

---

(١٤) كما تدل عليه الاحاديث التي سمعتها عن ام سلمة .

(١٥) ويدل عليه ما اخرجه الامام احمد في صفحة ١٠٧ من=

وهم في معزل عن الناس تحت ذلك الكساء درءا للشبهة في نحور اهل الزيغ .

= الجزء الرابع من مسنده عن واثلة بن الاسقع انه قال من جملة حديث : أتيت فاطمة أسألها عن علي قالت ذهب الى رسول الله (ص) ، فجلست انتظره حتى جاء رسول الله (ص) ومعه علي وحسن وحسين آخذا كل واحد منهما بيده ، فأدنى عليا وفاطمة فأجلسهما بين يديه واجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما على فخذه ، ثم لف عليهم ثوبه ـ او قال كساءه ـ ثم تلا « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا » وقال : اللهم هؤلاء اهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ا هـ .

وقد اخرج هذا الحديث عن واثلة ايضا كل من ابن جرير في تفسيره الكبير وابن المنذر وابن ابي شيبة وابن ابي حاتم والطبراني والبيهقي في سننه وصححه الحاكم ، وغيرهم من حملة الآثار وحفظة الاخبار .

قال النبهاني في صفحة ٧ من كتاب الشرف المؤبد ما هذا لفظه : وقد ثبت من طرق عديدة ان رسول الله (ص) جاء ومعه علي وفاطمة وحسن وحسين قد اخذ كل واحد منهما بيد حتى دخل فأدنى عليا وفاطمة واجلسهما بين يديه واجلس حسنا وحسينا كل واحد على فخذه ، ثم لف عليهما كساء ثم تلا هذه الآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا » . =

وقد بلغ بأبي هو وأمي في توضيح اختصاص الآيــة بهم كل مبلغ ، وسلك في اعلان ذلك مسالك ينقطع معهــا شغب المشاغب ولا يبقى بعدها اثر لهذيان النواصب ، حتى كان بعد نزول الآية كلما خرج الى الفجر يمر ببيت فاطمة فيقول : الصلاة يا اهل البيت انما يريد الله ليذهب عنــكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ، وقد استمر على هذا ستة اشهر في رواية انس (١٦) ، وعن ابن عباس سبعة اشهر ، وفي رواية ذكرها النبهاني (١٧) وغيره ثمانية اشهر ، فصرح الحق عن محضه وبدا الصبح لذي عينين . لكن حثالة من

= قال النبهاني : قالت ام سلمة فرفعت الكساء لادخل معهم فجذبه من يدي فقلت : وانا معكم يا رسول الله به . فقال : انك من ازواج النبي على خير .

(١٦) أخرج الامام احمد في صفحة ٢٥٩ من الجزء الثــالث من مسنده عن انس بن مالك ان النبي (ص) كان يمر ببيت فاطمة ستة اشهر اذا خرج الى الفجر فيقــول الصلاة يا اهل البيت انما يريد الله ليذهب عنــكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا اهـ . واخرجه الحاكم وصححه والترمذي وحسنه وابن ابي شيبــة وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والطبراني وغيرهم عن انس ايضا فراجع كتاب رشفة الصادي للامام ابي بكر بن شهاب الدين العلوي .

(١٧) في صفحة ٨ من الشرف المؤبد .

اعداء اهل البيت وصنائع بني أمية ودعاة الخوارج ذهبوا في صرف الآية عن اهلها كل مذهب ، فقال بعضهم انهـــا خاصة بنساء النبي (ص) وتشبثوا في ذلك بسياق الآيـة ، وبالغ عكرمة ومقاتل بن سليمان في الانتصار لهذا الرأي والاستدلال بالسياق عليه ، وكان عكرمة ينـادي به في الاسواق [١٨] تحاملا على اصحاب الكساء ، ولا عجب فان عكرمة من الدعاة الى عداوة علي والسعاة في تضليـــل الناس عنه بكل طريق .

فعن يحيى بن بكير قال : قدم عكرمة مصر وهو يريد المغرب . قال : فالخوارج الذين هم في المغرب عنه اخذوا[٩١].

وعن خالد بن عمران قال : كنا في المغرب وعندنـــا عكرمـــة في وقت الموسم فقـــال : وددت ان بيدي حربـــة

---

(١٨) فيما نقله عنه جماعة كثيرون منهم الواحدي في كتابه اسباب النزول وابن حجر في صواعقه .

فعن يحيى بن بكير قال : قدم عكرمة مصر وهو يريد

(١٩) نقل القاضي الجعابي حيث اتى على ذكر عكرمة في كتاب الموالي : ان عكرمة دخل في رأي الحرورية من الخوارج فخرج يدعو اليهم بالمغرب . وعن ابي علي الاهوازي كما في ترجمة عكرمة من معجم ياقوت : ان عكرمة كان يرى رأي الخوارج ويميل الى استماع الغناء . قال : وقيل انه كان يكذب على مولاه .

فأعترض بها من شهد الموسم يمينا وشمالا (لبنائه على كفر من عدا الخوارج من أهل القبلة) .

وعن يعقوب الحضرمي عن جده قال : وقف عكرمة على باب المسجد فقال : ما فيه الا كافر . قال : وكان يرى رأي الاباضية (وهم من غلاة الخوارج) .

وعن ابن المدايني : كان عكرمة يرى رأي نجدة الحروري (وكان نجدة من اشد الخوارج عداوة لامير المؤمنين) .

وعن مصعب الزبيري : كان عكرمة يرى رأي الخوارج . وعن عطاء كان عكرمة اباضيا . وعن احمد بن حنبل ان عكرمة : كان يرى رأي الصفرية (وهم من غلاة الخوارج ايضا) .

وحدث ايوب عن عكرمة انه قال : انما أنزل الله متشابه القرآن ليضل به (فانظر الى آرائه ما اخبثها) .

وعن ابن ابي شعيب قال : سألت محمد بن سيرين عن عكرمة ؟ فقال : ما يستوي ان يكون من اهل الجنة ولكنه كذاب . وعن وهيب قال : شهدت يحيى بن سعيد الانصاري وايوب فذكرا عكرمة فقال يحيى : هو كذاب .

وعن ابن المسيب انه كذب عكرمة . وعن عبد الله بن

الحارث قال : دخلت على علي بن عبد الله بن العباس فاذا عكرمة في وثائق فقلت : الا تتقي الله ؟ فقال : ان هـذا الخبيث يكذب على ابي (٢٠) .

وعن ابن المسيب انه قال لمولى له اسمه برد : لا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس . وعن ابن عمر انه قال ذلك ايضا لمولاه نافع .

وعن طاووس : لو ان عند عكرمة مولى ابن عباس تقوى من الله وكف من حديثه لشدت اليه المطايا . وعن ابن ذؤيب : رأيت عكرمة وكان غير ثقة .

---

(٢٠) هذا لفظ الذهبي في ميزان الاعتدال نقلا عن عبد الله بن الحارث ، والذي نقله ياقوت الرومي في ترجمة عكرمة من معجمه عن عبد الله بن الحارث قال : دخلت على علي بن عبد الله بن عباس وعكرمة موثوق في باب الكنيف فقلت : أتفعلون هذا بمولاكم ؟ فقال : ان هذا يكذب على ابي . ونقل ياقوت في آخر ترجمة عكرمة من معجمه ايضا عن يزيد بن زناد قال : دخلت على علي ابن عبد الله بن مسعود وعكرمة مقيد على باب الحش قلت : ما لهذا كذا ؟ قال : انه يكذب على ابي ا هـ . فهو بمقتضى هاتين الروايتين تارة يكذب على ابن عباس فينكر عليه ابنه ويعزره ، وتارة يكذب على ابن مسعود فينكر عليه ولده ويعزره .

وعن يحيى بن سعيد قال : حدثوني والله عن ايوب انه ذكر له ان عكرمة لا يحسن الصلاة ، فقال ايوب او كان يصلي . وعن محمد بن سعيد: كان عكرمة كثير العلم وليس يحتج بحديثه وتكلم الناس فيه .

وعن مطرق بن عبد الله : سمعت ان مالكا يكره ان يذكره ولا يرى ان يروي عنه . وعن احمد بن حنبل : ما علمت ان مالكا حدث بشيء لعكرمة الا في مسألة واحدة .

وعن سليمان بن معبد السنجي قال : مات عكرمة وكثير عزة في يوم واحد ، فشهد الناس جنازة كثير وتركوا جنازة عكرمة (٢١) وعن الفضل الشيباني عن رجل قال : رأيت عكرمة قائما في لعب النرد . وعن يزيد بن هارون : قدم عكرمة البصرة فأتاه ايوب ويونس وسليمان فسمع عكرمة صوت غناء فقال : اسكتوا ثم قال : قاتله الله لقد اجاد . فأما يونس وسليمان فما عادا اليه ... الى آخر ما هو مأثور عن هذا الرجل مما يدل على سقوطه ، فراجع ترجمته في ميزان الاعتدال الذهبي فأن فيها جميع ما نقلناه الآن عنه .

---

(٢١) وعن الرياشي عن الاصمعي عن نافع المدني نحوه ، وعن ابن سلام كما في معجم ياقوت : ان اكثر الناس كانوا في جنازة كثير .

على ان كل من ترجمه كالعسقلاني في مقدمة فتح الباري وابن خلكان في وفياته وياقوت الرومي في ارشاد الاريب الى معرفة الاديب الموسوم بمعجم الادباء وغيرهم طعنوا فيه بنحو ما سمعت ، ولما ذكر الشهرستاني في كتاب الملل والنحل رجال الخوارج كان عكرمة اول رجل عده منهم .

وأما مقاتل فقد كان عدوا لامير المؤمنين ايضا ، وكان دأبه صرف الفضائل عنه حتى افتضح بذلك . قال ابراهيم الحربي كما في ترجمة مقاتل من وفيات ابن خلكان : قعد مقاتل بن سليمان فقال (اطفاء لنور امير المؤمنين) سلوني عما دون العرش . فقال له رجل : اخبرني من حلق رأس آدم حين حج ؟ فبهت . وقال الجوزجاني كما في ترجمة مقاتل من ميزان الذهبي : كان مقاتل كذابا جسورا ، سمعت أبا اليمان يقول قدم هاهنا فأسند ظهره الى القبلة وقال : سلوني عما دون العرش .

قال : وحدثت انه قال بمثلها بمكة ، فقام اليه رجل فقال : اخبرني عن النملة اين أمعاؤها ؟ فسكت . ونقل ابن خلكان هذه الحكاية في ترجمة مقاتل من وفياته من طريق سفيان بن عيينة ، وكان مقاتل مع ذلك كله من رجال المرجئة وغلاة المشبهة بنص جماعة منهم ابن حزم في صفحة ٢٠٥ من

الجزء الرابع من كتاب « الفصل » ، وعده الشهرستاني في كتاب الملل والنحل من رجال المرجئة ، وقال الامام ابو حنيفة كما في ترجمة مقاتل من ميزان الاعتدال : أفرط جهم في نفي التشبيه حتى قال : انه تعالى ليس بشيء ، وافرط مقاتل في معنى الاثبات حتى جعله مثل خلقه .

قال ابو حاتم بن حيان البستي كما في ترجمة مقاتل من وفيات ابن خلكان : كان مقاتل يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم ، وكان مشبهاً يشبه الرب بالمخلوقين . قال : وكان يكذب مع ذلك في الحديث ... الى آخر ما قاله أئمة الجرح والتعديل فيه ، ولهم فيه وفي عكرمة كلام اوضح من ذلك في الجرح واصرح منه في التضليل والقدح ، لكن المقام لا يسع الاستقصاء وهذا القدر كاف لما اردناه من سقوط الرجلين وفساد آرائهما وبطلان اقوالهما ولا سيما في هذا المقام فانه لا ينتظر منهما فيه الا ما يقتضيه الوغر والحقد ويستوجبه الخروج والنصب ، ولا عجب منهما وانما العتب والعجب ممن اعتمد عليهما وهو يعرف كنههما .

اما ما تشبثا به من وقوع الآية في سياق الخطاب مع النساء فتضليل محض وتمويه مجرد ، وان اطنب في تلفيقه وتزويقه صاحب نوادر الاصول وغيره من اعداء آل

الرسول ، فانهم لم يألوا جهداً في تصويره وتزويره ولم يدخروا وسعا في تقريره وتحريره ، لكن مثلهم في ذلك « كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون » ولنا في رده وجوه :

(الاول) انه اجتهاد في مقابل النصوص الصريحة والاحاديث المتواترة الصحيحة ، وقد سمعت بعضها .

(الثاني) انها لو كانت خاصة في النساء — كما يزعم هؤلاء — لكان الخطاب في الآية بما يصلح للاناث ، ولقال عز من قائل عنكن ويطهركن كما في غيرهما من آياتهن فذكر ضمير الخطاب فيها دون غيرها من آيات النساء كاف في رد تضليلهم .

(الثالث) ان الكلام البليغ يدخله الاستطراد والاعتراض ، وهو تخلل الجملة الاجنبية بين الكلام المتناسق كقوله تعالى في حكاية خطاب العزيز لزوجته اذ يقول لها : « انه من كيدكن ان كيدكن عظيم . يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك » فقوله يوسف أعرض عن هذا مستطرد بين خطابيه معها كما ترى ، ومثله قوله تعالى : « ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بما يرجع المرسلون»

فقوله وكذلك يفعلون مستطرد من جهة الله تعالى بين كلام بلقيس ونحوه قوله عز من قائل : « فلا اقسم بمواقع النجوم . وانه لقسم لو تعلمون عظيم . وانه لقرآن كريم » تقديره فلا اقسم بمواقع النجوم ، انه لقرآن كريم وما بينهما استطراد على استطراد ، وهذا كثير في الكتاب والسنة وكلام العرب العاربة وغيرهم من البلغاء .

وآية التطهير من هذا القبيل جاءت مستطردة بين آيات النساء ، فتبين بسبب استطرادها ان خطاب الله لهن بتلك الاوامر والنواهي والنصائح والآداب لم يكن الا لعناية الله تعالى بأهل البيت « أعني الخمسة » لئلا ينالهم « ولو من جهتهن » لوم ، او ينسب اليهم « ولو بواسطة » هناة ، او يكون عليهم المنافقين « ولو بسببهن » سبيل ، ولولا هذا الاستطراد ما حصلت هذه النكتة الشريفة التي عظمت بها بلاغة الذكر الحكيم ، وكمل اعجازه الباهر كما لا يخفى .

(الرابع) ان القرآن لم يترتب في الجمع على حسب ترتيبه في النزول باجماع المسلمين كافة ، وعلى هذا فالسياق لا يكافىء الادلة الصحيحة عند تعارضهما ، لعدم الوثوق حينئذ بنزول الآية في ذلك السياق ، ولذا كان الواجب في

مقامنا هذا ترك فحوى السياق لو سلم ظهوره بما زعموا والاستسلام لحكم ما سمعت بعضه من الادلة القاطعة والحجج الساطعة ، ولا غرو فان حمل الآية على ما يخالف سياقها غير مناف للبلاغة ولا مخل بالاعجاز ، وقد اجمعوا على انه لا جناح بالمصير اليه اذا قامت قواطع الادلة عليه .

وذهب بعضهم الى ان المراد من اهل البيت في الآية من حرمت عليهم الصدقة ، وهم بنو هاشم كافة ، مستدلين على ذلك بما اخرجه مسلم في باب فضائل علي من صحيحه عن زيد بن ارقم وقد قيل له : من اهل بيته ؟ نساؤه قال : لا . وأيم الله ان المرأة تكون مع الرجل ، العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع الى ابيها وقومها — اهل بيته الذين حرموا الصدقة بعده ! هـ . وانت تعلم ان استسلامهم هذا باطل من وجهين :

(احدهما) انك لو راجعت هذا الحديث من صحيح مسلم تعلم ان زيدا انما سئل عن مراد النبي (ص) بأهل بيته الذين ذكرهم في قوله : اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل ابيتي (٢٢) فأجاب عن

---

(٢٢) المراد من اهل بيته هنا مجموعهم من حيث المجموع باعتبار دخول ائمتهم فيهم، والقرينة على ذلك اقترانهم =

خصوص هذا السؤال بما سمعت ، ولم يتعرض لبيان المراد بأهل البيت المذكورين في الآية ، اذ لم يسأل عنهم فكيف ننقل عنه في تفسير الآية ما قاله في تفسير الحديث ، وهل هذا الا كالمغالطة . ولو سئل زيد عن الآية لاجاب بالصواب كما فعل ابو سعيد الخدري ومجاهد وقتادة وغيرهم وما كان ليخفى عليه حديث الكساء ، ولا ليخالف في تفسيرها سيد الانبياء (ص) . وبالجملة فان ما نقله مسلم عن زيد خارج عن موضوع مسألتنا هذه ، فالاستدلال به هنا مما لا وجه له .

(ثانيهما) لو فرضنا ان زيدا فسر الآية بما سمعت فانما هو مفسر لها برأي قد رآه لا تثبت به حجة ولا يقوم به برهان ، حيث لم ينقل ذلك التفسير عن رسول الله (ص) كما يراه كل من راجع الحديث في صحيح مسلم ، فكيف نعارض به الادلة القاطعة والبراهين الساطعة ونقدمه على النصوص الصريحة والاحاديث المتواترة الصحيحة ؟ لكنا منينا بقوم لا ينصفون ، فانا لله وانا اليه راجعون .

= بالكتاب الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وليس المراد من عترته واهل بيته جميعهم على سبيل الاستغراق والشمول لكل فرد فرد منهم ، وهذا المعنى هو الذي اراده زيد بن أرقم .

وقد اغرب الرازي اذ قال في تفسيره : واختلف في اهل البيت ، والاولى فيهم ما قاله البقاعي انهم كل من يكون من لزم النبي (ص) من الرجال والنساء والازواج والاماء والاقارب ... الى آخر كلامه الذي نسج فيه على منوال البقاعي وخالف به سنة البشير النذير الداعي :

لكم ذخـــركم ان النبي ورهطـه
وجيلهم ذخري اذا التمس الـذخر
جعلت هواي الفاطميـين زلفـــة
الى خالقي مـا دمت او دام لي عمر

وذهب قوم الى ان الآية شاملة للزوجات ولاصحاب الكساء جميعا بين الادلة وظاهر السياق .

ويرده اولا ـ ما سمعته من كلامنا في السياق فراجعه، وثانيا ـ منع ام سلمة من الدخول تحت الكساء ، فانـــه أقوى دليل على خروج النساء . وثالثا ـ لو كان غير علي وفاطمة وابنيهما مرادا لقال (ص) حين جللهم بالكساء : اللهم هؤلاء من اهل بيتي ، لكنه قصر اهل بيته عليهم وحصرهم فيهم فقال : اللهم هؤلاء اهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . وفي رواية ذكرها ابن حجر في صواعقه : انا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سـالمهم وعـدو لمن عاداهم .

واخرج احمد بن حنبل من حديث ام سلمة في صفحة ٢٩٦ من الجزء السادس من مسنده قالت : بينما رسول الله (ص) في بيتي يوما اذ قال الخادم ان عليا وفاطمة بالسدة . قالت : فقال لي فتنحي لي عن اهل بيتي . فقالت : فقمت فتنحيت في البيت قريبا فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين وهما صبيان صغيران ، فأخذ الصبيين فوضعهما في حجره فقبلهما واعتنق عليا باحدى يديه وفاطمة باليد الاخرى فقبل عليا وقبل فاطمة ، فأغدق عليهم خميصة سوداء فقال : اللهم اليك لا الى النار انا واهل بيتي — الحديث (٢٣) .

وهو كما ترى ظاهر في حصر اهل بيته فيهم عليهم السلام ، فهل حاباهم (ص) بكسائه او آثرهم من تلقاء نفسه بما سمعت من دعائه وثنائه ؟ او ضل وغوى اذ قال : أنزلت هذه الآية في خسمة فيّ وفي علي والحسن والحسين وفاطمة ؟ او نطق عن الهوى اذ كان يقف كل يوم على باب علي وفاطمة عند خروجه الى الفجر فيقول : الصلاة يا اهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت

---

(٢٣) وأخرجه في آخر صفحة ٣٠٤ من الجزء ٦ عن ام سلمة ايضا .

ويطهركم تطهيرا ؟ او هجر والعياذ بالله حين قال لأم سلمة قومي فتنحي لي عن اهل بيتي ؟ كلا والله « ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى . علمه شديد القوى » ولله در الامام ابي بكر بن شهاب الدين حيث قال في هذا المقام من كتابه « رشفة الصادي » :

دعوا كل قول غير قول محمد
فعند بزوغ الشمس ينطمس النجم

تنبيهان :

(احدهما)ان الآية دلت على عصمة الخمسة ، لان الرجس فيها عبارة عن الذنوب كما في الكشاف وغيره ، وقد تصدرت بأداة الحصر وهي « انما » فأفادت ان ارادة الله تعالى في امرهم مقصورة على اذهاب الذنوب عنهم وتطهيرهم منها ، وهذا كنه العصمة وحقيقتها (١) .

---

(١) اورد النبهاني في اول كتابه (الشرف المؤبد) هذه الآية، فنقل عن جماعة من الاعلام ما يدل على انهم قد فهموا منها عصمة اهلها عليهم السلام واليك ما نقله بعين لفظه قال : قال الامام ابو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره يقول الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا اهل محمد ويطهركم من الدنس =

(ثانيهما) انها دلت بالالتزام على امامة امير المؤمنين ، لانه ادعى الخلافة لنفسه وادعاها له الحسنان وفاطمة ، ولا يكونون كاذبين لان الكذب من الرجس الذي اذهبه الله عنهم وطهرهم منه تطهيرا .

= الذي يكون في معاصي الله تطهيرا « قال » وذكر اي الطبري بسنده الى سعيد بن قتادة انه قال قوله « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا » فهم اهل بيت طهرهم الله من السوء وخصهم برحمة منه « قال » وقال ابن عطية والرجس اسم يقع على الاثم والعذاب وعلى النجاسات والنقائص ، فأذهب الله جميع ذلك عن اهل البيت « قال » وقال الامام النووي قيل هو الشك وقيل العذاب وقيل الاثم . قال الازهري الرجس اسم لكل مستقذر من عمل وغيره ا هـ .

وفسر الشيخ محيي الدين ابن العربي لفظ الرجس في الباب ٢٩ من فتوحاته بكل ما يشين ، واليك عبارته قال : وقد ذكر النبي (ص) قد طهره الله واهل بيته تطهيرا واذهب عنهم الرجس وهو كل ما يشينهم ، فان الرجس هو القذر عند العرب ــ هكذا حكى الفراء الى آخر كلامه .

الفصل الثالث

في آية المودة ، وهي قوله تبارك وتعالى في آل حم الشورى : « قل لا اسألكم عليــه اجرا الا المودة في القربى [1] ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور . أم يقولون افترى على الله كذبا » .

اجمع اهل البيت وتصافق اولياؤهم في كل خلف على ان القربى هنا انما هم علي وفاطمة وابناهما ، وان الحسنة في الآية انما هي مودتهم ، وان الله تعالى غفور شكور لاهل

---

(١) القربي مصدر كالزلفى والبشرى وهي بمعنى القرابة ، والاستثناء هنا متصل ، والمعنى لا أسألــكم على اداء الرسالة شيئا من الاجر الا ان تودوا قرابتي ، فهو على حد قول القائل :

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم   بهن فلول من قراع الكتائب

ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا ، اي لا أسألكم عليه اجرا قط ولكن اسألكم ان تردوا قرابتي ، وكيف كان فمودتهم فريضة .

ولايتهم ، وهذا عندنا من الضروريات المفروغ عنها . وفيه صحاح متواترة عن أئمة العترة الطاهرة ، واليك ما هـو مأثور عن غيرهم :

أخرج احمد والطبراني والحاكم وابن ابي حاتم عن ابن عباس كما نص عليه ابن حجر في تفسير الآية ١٤ من الآيات التي اوردها في الفصل الاول من الباب ١١ من صواعقه قال : لما نزلت هذه الآية قالوا : يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال (ص) : علي وفاطمة وابناهما ا هـ . وهذا الحديث اخرجه عن ابن عباس ايضا ابن المنذر وابن مردويه [٣] والمقريزي [٤] والبغوي والثعلبي في تفاسيرهم والجلال السيوطي [٥] في دره المنثور ، والحافظ ابو نعيم في حليته ، والحمويني الشافعي في فرائده ، وغيرهم من المفسرين والمحدثين .

وأرسله الزمخشري في كشافه واستدل على اعتباره بروايات رواها في الكشاف عن رسول الله (ص) ، فمنها ما روي عن علي قال : شكوت الى رسول الله (ص) حسد

---

(٣) فيما نقله عنهما النبهاني في اربعينه .
(٤) فيما نقله النبهاني عنه في الشرف المؤبد .
(٥) فيما نقله عنه في الشرف المؤبد .

الناس لي فقال : اما ترضى ان تكون رابع اربعة اول من يدخل الجنة أنا وانت والحسن والحسين ؟ ومنها قوله (ص) حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتي وآذاني في عترتي . ومنها قول رسول الله (ص) : من مات على حب آل محمد مات شهيدا (٦) الا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الايمان ، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها ، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابا الى الجنة ، ألا

(٦) المراد من آل محمد في هذا الحديث ونحوه مجموعهم من حيث المجموع باعتبار أئمتهم الذين هم خلفاء رسول الله (ص) وأوصياؤه ووارثو حكمه واولياؤه ، وهم الثقل الذي قرنه بالقرآن ونص على انهما لا يفترقان فلا يضل من تمسك بهما ولا يهتدي من اعرض عن احدهما، وليس المراد هنا من الآل جميعهم على سبيل الاستغراق والشمول لكل فرد فرد، لان هذه المرتبة السامية لاولياء الله خاصة . نعم تجب محبة جميع اهل بيته وكافة ذريته لانتسابهم اليه (ص) ، وفي ذلك تحصل الزلفى لله تعالى والشفاعة من رسوله صلى الله عليه وآله .

ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا ، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله ـ الحديث . وأخرجه الامام الثعلبي في تفسيره الكبير عن جرير بن عبد الله البجلي ، وأورده غير واحد من المحدثين ومؤلفي المناقب .

وانت تعلم از هذه المنزلة السامية انما ثبتت لهم من الله تعالى لانهم خلفاؤه في ارضه وأولياؤه في بسطه وقبضه وحججه البالغة ومناهل شرائعه السائغة وامناؤه بعد النبي(ص) على وحيه وسفراؤه في امره ونهيه ، فالمحب لهم بسبب ذلك محب لله ، والمبغض لهم مبغض لله ، ومن هنا قال فيهم الفرزدق :

من معشر حبهم دين وبغضهم
كفر وقربهم منجى ومعتصم
ان عد اهل التقى كانوا أئمتهم
او قيل من خير أهل الارض قيل هم

وأخرج الحاكم كما في تفسير هذه الآية من مجمع البيان بالاسناد الى ابي أمامة الباهلي قال : قال رسول

الله (ص) ان الله تعالى خلق الانبياء من اشجار شتىوخلقت أنا وعلي من شجرة واحدة ، فأنا اصلها وعلي فرعها وفاطمة لقاحها والحسن والحسين ثمارها واشياعهم اوراقها ، فمن تعلق بغصن من اغصانها نجا ومن زاغ عنها هوى ، ولو ان عبدا عبد الله ألف عام ثم ألف عام ثم الف عام حتى يصير كالشن البالي وهو لا يحبنا كبه الله على منخريه في النار . ثم تلا « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فيالقربى »اهـ.

وأخرج ابو الشيخ وغيره كما في الصواعق وغيرها عن علي (ع) : فينافي آل حم لا يحفظ مودتنا الا كل مؤمن ، ثم قرأ « قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور » والى هذا اشار الكميت بقوله :

وجدنا لكم في آل حم آية
تأولها منا تقي ومعرب

واخرج البزار والطبراني وغيرهما كما في الصواعق وغيرها عن الامام ابي محمد الحسن السبط المجتبى (ع) بطرق مختلفة انه خطب خطبة قال فيها : وانا من اهل البيت الذين افترض الله عز وجل مودتهم وموالاتهم فقال فيما انزل على محمد (ص) « قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة

في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا » . قال : واقتراف الحسنة مودتنا اهل البيت ا هـ .

وأخرج الطبري كما في الصواعق وغيرها عن الامام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام انه لما اقيم بأبي هو وأمي اسيرا على درج دمشق قال له بعض جفاة اهل الشام : الحمد لله الذي قتلكم . فقال له : اما قرأت قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى (٧) ؟ قال : وانتم هم ؟ قال : نعم ا هـ .

واخرج احمد بن حنبل كما في الصواعق ايضا عن ابن عباس في قوله تعالى « ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا » قال : هي المودة لآل محمد . واخرجه ابن ابي حاتم كما في الشرف المؤبد (٨) عن ابن عباس ايضا . وعن ابي حمزة الثمالي في تفسيره عن ابن عباس انه حين استحكم الاسلام بعد الهجرة قالت الانصار : نأتي رسول الله فنقول له قد تعروك امور فهذه أموالنا تحكم فيها كيف شئت . فأتوه بذلك فنزلت الآية فقرأها عليهم وقال تودون قرابتي

(٧) رواه النبهاني في المقصد الثالث من كتابه الشرف المؤبد عن السدي عن ابي الديلم .
(٨) راجع منه صفحة ٩٥ .

من بعدي فخرجوا مسلمين لقوله ، وقال المنافقون ان هذا لشيء افتراه في مجلسه اراد به ان يذللنا لقرابته من بعده ، فنزلت « أم يقولون افترى على الله كذبا » الحديث .

وقد اخرج الثعلبي والبغوي كما في الصواعق عن ابن عباس ايضا مثله . قاتل الله الحسد يورد اهله الدرك الاسفل من النار . انظر كيف خرج هؤلاء من الدين وكذبوا ــ حسدا لاولياء الله ــ نبيهم وهو الصادق الامين ، فأنزل الله تعالى في نفاقهم قرآنا يتلوه المسلمون آناء الليل واطراف النهار ، ومع ذلك فان بذرة اهل النفاق والحسد قد اجذرت بتعاهد اولي السلطة لها من بني امية وغيرهم بما يستوجب نموها ، وجمهور المسلمين غافلون ، فالتبس الامر ووقعت الشبهة .

وانما دخل البلاء باعتماد الجمهور على كل من كان في الصدر الاول ، وبنائهم على عدالة كل فرد ممن كانت له صحبة ، مع ما يتلونه في الكتاب والسنة من شؤون المنافقين [٩] وتربصهم الدوائر بسيد النبيين والمرسلين (ص)

---

(٩) وحسبكم من الكتاب سورتا التوبة والاحزاب ، فان فيهما الذكرى لاولي الالباب « ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم » وناهيك من السنة =

واشتد البلاء بالمنع من الخوض في تلك الاحوال وسدهم باب البحث عن حقائق اولئك الرجال ، فضيعوا على انفسهم كثيرا من الحقائق . وربما نسجوا من حيث لا يقصدون على منوال كل منافق ، ولذلك اختلفوا في هذه الآية ، مع ما سمعت بعضه من النصوص الجلية في نزولها بمودة العترة الزكية ، والذي عرفناه من اقوال المخالفين اربعة مذاهب .

(الاول) ان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وآله ان يقول لمشركي قريش « لا أسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى » يعني الا ان تودوني في قرابتي منكم وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم ، وهذا مردود بوجوه : «احدها» ان الآية مدنية كما سمعته قريبا عن تفسيري البغوي والثعلبي وستسمعه عن غيرهما ايضا فأين مشركو قريش

= باب الحوض من كتاب الرقاق من صحيح البخاري، وباب قوله تعالى « واتخذ الله ابرهيم خليلا » وهو في كتاب بدء الخلق من الصحيح المذكور ايضا ، ومـا اخرجه احمد بن حنبل في آخر الجزء الخامس من مسنده عن ابي الطفيل فراجع . « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فان يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين » .

عنها ؟ « ثانيها » ان سبب نزولها بحكم ما سمعته وستسمعه من الاخبار، انما هو عرض الانصار اموالهم لرسول الله(ص) او مفاخرتهم لبني هاشم فيكون الخطاب معهم لا مع مشركي قريش . « ثالثها » انه لا يصح ان يكون الخطاب مع المشركين ، اذ يقبح من الحكيم ان يطلب الاجر على اداء الرسالة ممن كفر بها وبلغ الغاية في جحودها وتكذيبها ، وانما يحسن ذلك ممن آمن بها . وعدها نعمة عليه. «رابعها» ان هذا القول مخالف لما سمعته من النص على انها نزلت في مودة علي وفاطمة وابنائهما . « خامسها » انه انما هو قول عكرمة وتبعه فيه جماعة من صنائع بني امية واعداء اهل البيت ، كما كنا اوضحناه في كتابنا سبيل المؤمنين ، وهؤلاء لا تقبل اقوالهم ولا سيما في مثل المقام ، وقد عرفت ان عكرمة من دعاة الخوارج وكذبة المحدثين ، كما بيناه في الفصل السابق . وأخطأ من نسب هذا القول الى ابن عباس على خبر رواه البخاري في باب قوله « الا المودة في القربى» من كتاب تفسير القرآن من صحيحه عن محمد بن بشار عن محمد بن جعفر ، وهما ضعيفان باجماع الامامية ، ووافقهم يحيى بن معين ــ كما في ميزان الاعتدال ــ على تضعيف محمد بن بشار ، بل كذبه القلاس فراجع .

وكيف يقول ابن عباس في تفسير القربى غير الذي

قلناه ، مع ما سمعته من الاحاديث الثابتة عنه في تفسير القربى بعلي وفاطمة وابنائهما وتفسير الحسنة بمودتهم ؟

(الثاني) من مذاهب المخالفين في تفسير الآية ان معناها قل لا أسألكم عليه اجرا الا ان تودوا القربى من الله عز وجل بالاعمال الصالحة .

(الثالث) ان معناها الا ان تودوا قرابتكم وتصلوا ارحامكم . وانت تعلم ان اصحاب هذه الاقاويل ما ارادوا بها غير التمويه والتضليل ، وحسبهم في ردها انها في مقابل النص والدليل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير .

(الرابع) ان الآية منسوخة بقوله تعالى في سورة سبأ : « قل ما سألتكم عليه من اجر فهو لكم » وهذا من اغرب الاقاويل واعجب الاباطيل ، لان وجوب مودة القربى بكل المعاني مستمر الى يوم القيامة بحكم الضرورة من دين الاسلام فما معنى هذا النسج يا مسلمون ؟ على انه لا تنافي بين الآيتين لتكونا من قبيل الناسخ والمنسوخ ، فان معنى آية الشورى لا أسألكم على اداء رسالتي شيئا من الاجر الا مودة قرابتي ، ومعنى آية سبأ اني ما سألتكم على اداء رسالتي شيئا من عرض الدنيا ، والذي طلبته منكم في

سورة الشورى اجرا عليه من مودة قرابتي فانما هو لكم لا لي لان قرابتي حجج الله البالغة لديكم ونعمه السابغة عليكم ، وهم امان اهل الارض وباب حطة وسفينة نجاة هذه الامة ، وهم كالقرآن الحكيم فمودتهم لازمة لكم ومنافعها انما هي عائدة عليكم ، فأرجع البصر هداك الله وامعن النظر في الآيتين ، وهما قوله تعالى : « قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى » وقوله سبحانه « ما سألتكم عليه من اجر فهو لكم » تجد الثانية مؤكدة لمفاد الاولى ومشوقة اليه كما لا يخفى .

وبقي للقوم اعتراضان : (احدهما) انهم قالوا : لو اراد الله من الآية مودة القربى ؛ لقال : « الا مودة القربى. او الا المودة للقربى » . والجواب ان هذا تغافل عما لا يغفل عنه ذو حظ من فهم ، وتجاهل بما لا يجهله الخبير بمواقع الكلام ، لان الاضافة واللام هنا لا يفيدان ما افادته في من المبالغة بمودة القربى (١٠) بجعلهم موضع الود والموالاة كما يعلمه جهابذة الكلام العربي ويشهد به أئمة البلاغة . قال

(١٠) قال النبهاني حيث اورد الآية في الشرف المؤبد : القربى مصدر بمعنى القرابة ، وهو على تقدير مضاف ، اي ذو القربى يعني الاقرباء . قال : وعبر بفي ولم يعبر باللام لان الظرفية ابلغ وآكد للمودة ا هـ .

الزمخشري في كشافه بعد تفسير القربى بمن ذكرناه عليهم السلام : فان قلت : فهلا قيل الا مودة القربى ، او الا المودة للقربى وما معنى قوله الا المودة في القربى ؟ قلت : جعلوا مكانا للمودة مقرا لها ، كقولك : « لي في آل فلان مودة . ولي فيهم هوى وحب شديد» تريد احبهم وهم مكان حبي ومحله ، وليست في بصلة المودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى انما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك « المال في الكيس » ، وتقديره الا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة فيه . هذا كلام الزمخشري بعين لفظه ، ولله دره ما اوفر نصيبه من الاحاطة بالاسرار التي لا تتناهى البلاغة ولا يتم الاعجاز الا بها .

(ثانيهما) انهم قالوا هذه الآية في سورة الشورى وهي مكية ، والحسنان ولدا في المدينة فلا يمكن ارادتهما منها .

والجواب : ان هذه الآية وما بعدها الى آخر ثلاث آيات مدنية قطعا بحكم الاخبار المتظافرة من طريق العترة الطاهرة ، وقد روى ذلك صاحب مجمع البيان عن ابن عباس، وقتادة ، ويدل عليه ما سمعته قريبا عن ابي حمزة الثمالي وتفسيري الثعلبي والبغوي ، وحسبك ما ذكره الامام

الواحدي في كتابه « أسباب النزول » حيث قال : ابن عباس لما قدم رسول الله (ص) المدينة كانت تنوبه نوائب وحقوق . وليس في يده لذلك سعة ، فقال الانصار ان هذا الرجل قد هداكم الله به ، وهو ابن اختكم وتنوبه نوائب وحقوق وليس في يده لذلك سعة ، فاجمعوا له من اموالكم ما لا يضركم فأتوه به نيعينه على ما ينوبه ، ففعلوا ثم اتوه به فقالوا : يا رسول الله انك ابن اختنا وقد هدانا الله تعالى على يديك وتنوبك نوائب وحقوق وليس لك سعة ، فرأينا ان نجمع لك من اموالنا فنأتيك به فتستعين على ما ينوبك وهو هذا . فنزلت « قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى » اهـ . وهذا الحديث موجود ايضا في الكشاف وغيره من التفاسير المعتبرة والكتب المؤلفة في اسباب النزول .

وفي الكشاف وغيره رواية اخرى في سبب نزولها ، جاء فيها ان الانصار فاخروا بعض بني هاشم ، فعاتبهم النبي (ص) بذلك ، فجثوا على الركب وقالوا : أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله ، فنزلت الآية فقرأها عليهم .

أليست هذه الاخبار كلها صريحة بنزول الآية في المدينة وان المخاطبين فيها انما هم الانصار ؟ ولا ينافي ذلك

كونها سورة مكية ، لأن ترتيب الكتاب العزيز في الجمع ليس على حسب ترتيبه في النزول اجماعا وقولا واحدا [11] ومن ثمة كان اغلب السور المكية لا تخلو من آيات مدنية ، وكذلك اكثر السور المدنية لا يخلو من آيات مكية بحكم أئمة السلف والخلف من الفريقين [12] ووصف لسورة بكونها

---

(11) الا ترى ان الاغلب من اواخره مكي والاكثر من اوائله مدني ، فلو كان مرتبا على حسب نزوله لوجب تقديم بعض ما أخر وتأخير بعض ما قدم ولكانت سورة العلق في اوائله وسورة براءة في آخره . بناء على ما رواه البخاري عن سليمان بن حرب عن شعبة ، ورواه مسلم عن بندار عن غندر عن شعبة ايضا . ولكانت آخر آية من آياته قوله تعالى « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله » ، او آخر آية من سورة النساء ، او قوله تعالى « ولقد جاءكم رسول من انفسكم » الآية . كما لا يخفى على من راجع الكتب المؤلفة في هذا الموضوع .

(12) فراجع ان شئت التفصيل اوائل السور من مجمع البيان في تفسير القرآن او من تفسيري الطبري والرازي الكبيرين او من الكشاف ، او اول كل من المائدة والاعراف والرعد والاسراء والكهف ومريم والحج والشعراء والقصص والروم ولقمان وسبأ والزمر والزخرف والدخان والرحمن والمجادلة من كتاب تفسير القرآن من ارشاد الساري في شرح صحيح البخاري وسائر المؤلفات في هذا الموضوع ، وبعد التتبع قل لي=

مكية او مدنية تابع لاغلب آياتها ، كما صرح به أئمة هذا الفن من اهل المذاهب كلها ، على انه لا مانع من تناول الآية الكريمة للحسنين (ع) حتى لو فرضنا نزولها بمكة قبل ولادتهما ، لان المودة فيها غير مقصودة على من كان من القربى موجودا حين نزولها بل هي ثابتة فيهم وهم على الاطلاق مكانها كما سمعت .

وبناء على هذا تكون الآية نظير قوله تعالى : « يوصيكم الله في اولادكم » أترى احدا من المسلمين قصر هذه الوصية على من كان موجودا من الاولاد حين نزولها . كلا بل لم يتوهم ذلك ابن انثى ، فليت شعري ما الفرق بين الآيتين ؟!

واما ما سمعته من قول النبي (ص) في تفسير القربى « هم علي وفاطمة وابناهما » فيجوز ان يكون متأخرا عن نزولها ، او انه خبر من الله عز وجل بالغيب فيكون من

= كيف الغى المعترضون صحاح الاخبار المفسرة للقربى بما قلناه وصرفوا الآية عن اهلها بمجرد كونها في سورة يقال عنها مكية ؟ ومن اوحى اليهم انها ليست كأغلب المكيات وصفت بهذا الوصف باعتبار الغلبة ؟ (ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس وقد جاءهم من ربهم الهدى) .

اعلام النبوة . ولا غرو فقد اخبر عن خلفائه وانهم أثنا عشر واخبر عن يوم الجمل وكلاب الحوأب وعن الفئة الباغية وقتلها عمارا ، وعن الذين موقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، وعن الناكثين والقاسطين والمارقين ، وعن الضغائن لعلي في نفوس قوم وانهم لا يبدونها له الا بعد فقده وعن اشقى الآخرين وضربه سيد الوصيين بالسيف على هامته وان شيبته الكريمة تخضب من دم رأسه ، وعن حال بضعته الزهراء من بعده وانها اول اهل بيته لحوقا به ، وعن محنة الحسن والذعاف الذي تجرعه ، وعن مصائب سيد الشهداء في طف كربلاء ، وعما لقيه اهل بيته من الاثرة والبلاء والقتل والتشريد والتطريد في البلاد ، وعن ولاة الجور الذين يملكون من بعده امر هذه الامة ، وعن بوائق بني امية وبني مروان وان مدتهم تكون الف شهر وعن بني العباس وملكهم وعن فتنة نجد وطلوع قرن الشيطان منها الى ما لا يحصى من اخباره عن الله تعالى بالمغيبات . وقد رأتها الامة بعد ذلك مثل فلق الصبح، فعلم الله الازلي الذي وسع كل شيء قبل ان يكون شيء لا يضيق عن تولد الحسنين من علي وفاطمة قبل ان يخلقهما تبارك وتعالى ، وليس على الله بعزيز ان يبشر بهما (ص) ويفترض مودتهما على الامة قبل ولادتهما لكرامتهما عليه وقرب منزلتهما منه

سبحانه وتعالى ، كما بشر الله آدم ونوحا وابراهيم وموسى وعيسى وسائر النبيين والمرسلين بمحمد (ص) وعليهم اجمعين ، وعرفهم جلالة قدره وعظم شأنه فآمنوا به وبخعوا لفضله .

ونحن مهما شككنا فلا نشك في ان العترة والكتاب ثقلا رسول الله اللذان لا يضل من تمسك بهما ، وان كلا منهما يفرغ عن الآخر لانهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض ، وقد تواترت الاخبار عنهم في تفسير القربى بما ذكرناه . وناهيك بذلك حجة على ما قلناه على ان تفسير القربى هنا بعلي وفاطمة وابنائهما هو الذي ذهبت اليه جماهير اهل السنة وقطعت به اكابرهم (١٣) وحسبك قول امام الخلف منهم والسلف محمد بن ادريس الشافعي رحمه الله .

يا اهل بيت رسول الله حبكم
فرض من الله في القرآن انزله (١٤)

---

(١٣) كما صرح به غير واحد من الاعلام كالسيد الامام ابي بكر بن شهاب الدين في كتابه رشفة الصادي .

(١٤) البيتان الاولان نسبهما الى الامام الشافعي ابن حجر في صواعقه والنبهاني في شرفه ، وهما مشهوران عنه =

كفاكم من عظيم القدر أنكم
من لم يصل عليكم لا صلاة له

وقول الشيخ ابن العربي :

رأيت ولائي آل طه فريضة
على رغم اهل البعد يورثني القربى
فما طلب المبعوث أجرا على الهدى
بتبليغه الا المودة في القربى

وقال المعاصر النبهاني :

آل طه يا آل خير نبي
جدكم خيرة وأنتم خيار
اذهب الله عنكم الرجس اهل
البيت قدما فأنتم الاطهار
لم يسل جدكم على الدين أجرا
غير ود القربى ونعم الاجار

وحيث ثبت هذا عن أئمة السنة وجماهير الامة ،

= منتشران سائران، وقد نسب البيتين الاخيرين الى ابن العربي صاحب الصواعق وغيره .

فلا مبالاة اذن بمخالفة من خالف ولا بمجازفة من جازف ، ممن اشار النبهاني اليهم في كتابه الشرف المؤبد ، حيث ذكر بعضهم خطبة الكتاب فقال : ومن هذا القبيل ما وقع في عصرنا في القسطنطينية سبع وتسعين ومائتين والف هجرية من قوم جهال غرقوا من احوال البغاء لآل محمد في اوحال فأخذوا يتأولون بجهلهم ما ورد من الآيات والاخبار في فضل اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومهبط الوحي ومنبع الحكمة، ويخرجونها عن ظواهرها بأفهامهم السقيمة وآرائهم الذميمة ومع ذلك فقد زعموا انهم لاهل البيت من اهل المحبة والمودة ولم يعلموا انهم هائمون من الخذلان في كل واد ... الى آخر ما قال فيهم وفيمن نسجوا على منوالهم ممن تقدمهم فراجع .

وقال في المقصد الثالث من الكتاب المذكور : فقد رأينا من اذا سمع بذكر مزية امتاز بها اهل البيت أو منقبة أسندت اليهم ، ووصفوا بها من الله ورسوله (ص) او السلف الصالح او علماء الامة او اوليائها ، يقطب وجهه ويتغير خلقه ويود بلسان حاله ان تلك المزية لم تكن لهم ، وقد يتكلف الاقاويل الواهية والاخبار الموضوعة ، والآثار المصنوعة ليطفىء بها نور الله والله متم نوره ولو كره

الكافرون . هذا كلامه بعين لفظه (والحق ينطق منصفا وعنيدا) .

نسأل الله الهداية والتوفيق لنا ولجميع المسلمين بمنه وكرمه انه ارحم الراحمين .

★ ★ ★

الفصل الرابع

في آيات الابرار ، وهي قوله عز اسمه في سورة الدهر : « ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر » الى آخر السورة .

أجمع أولياء أهل البيت « تبعا لكافة أئمتهم عليهم السلام » على نزولها في علي وفاطمة والحسن والحسين ، وصحاحهم في ذلك متواترة من طريق العترة الطاهرة ، وهذا عندهم من الضروريات التي لا يجهلها منهم احد . وقد أخرجه عن ابن عباس جماعة من اعلام غيرهم ، كالامام الواحدي في كتابه البسيط ، والامام ابي اسحاق الثعلبي في تفسيره الكبير ، والامام ابي المؤيد موفق بن احمد في كتاب الفضائل ، وغير واحد من الحفظة واهل الضبط .

واليك ما ذكره الزمخشري في تفسير السورة من

الكشاف بعين لفظه قال : وعن ابن عبـــاس «رض» ان الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله (ص) في ناس معه فقالوا : يا ابا الحسن لو نذرت على ولديك ، فنـذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما ان برئا مما بهما ان يصوموا ثلاثة ايام ، فشفيا وما معهم شيء ، فاستقرض علي مـن شمعون الخيبري اليهودي ثلاثة اصوع من شعير ، فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا ، فوقف عليهم سائل فقال : السـلام عليكم اهل بيت محمد مسكـين من مساكـين المسلمين اطعموني اطعمكم الله من موائد الجنة . فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما ، فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ، ووقف عليـهم اسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك ، فلما اصبحوا اخـذ علي «رض» بيد الحسن والحسين واقبلوا الى رسول الله (ص) فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال : ما اشد ما يسؤوني ما ارى بكم ، وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق بطنها بظهرها وغارت عيناها ، فساءه ذلك فنزل جبرئيل عليه السلام وقال : خذها يا محمد هناك الله في اهل بيتك ، فأقرأه السورة اهـ .

ونحن لا حاجة بنا الى تضييـــع الوقت في اخراج

السانيد هذا الحديث وطرقه الى ابن عباس ومجاهد وابي صالح وعطاء وغيرهم ، ولا الى ذكر من اخرجه من حفاظ الحديث وأئمة التفسير بعد تواتره عن أئمة الابرار وكونه مما لا ريب فيه ، وانما نشير الى بعض ما تضمنته تلك الآيات البينات من اسرار البلاغة لينتبه اولو الالباب (وتعيها اذن واعية) .

ان علماء البيان وسائر اهل اللسان لا يرتابون في ان الجمع المحلي بلام التعريف حقيقة في العموم ، وهذا مما لا يختلف فيه اثنان من اهل العربية ، وانت تعلم ان لفظ الابرار في الآية جمع برّ أو بار محلى باللام كما ترى ، فظهوره الشمول والاستغراق مما لا ريب فيه ، وانما اطلق على علي وفاطمة والحسن والحسين تبيانا لكونهم اكمل الابرار واذانا بأنهم الاخيار وبرهانا على انهم صفوة وحجة على انهم خيرة الخيرة فما عسى ان يقول القائلون في عظيم برهم ، او يصف الواصفون سمو قدرهم ؟ وأي مدحة توازن مدحة الفرقان؟ واي ثناء يكايل ثناء الذكر الحكيم؟ وأي عبارة فاضلة شريفة مقدسة تكافىء قول الله تعالى فيهم « ان الابرار » عليا وفاطمة والحسن والحسين « يشربون » الشراب الطيب يوم العطش الاكبر « من كأس » هي الزجاجة اذا كان فيها الشراب ويسمى الشراب نفسه كأسا

ايضا ، وقد وصفها بقوله عز من قائــل : « كان مزاجها » الذي تمزج به ماء من عين في الجنة تسمى « كافورا » لان ماءها في بياض الكافور ورائحته وبرودته ، والدليل على ان كافورا اسم عين في الجنة قوله تعالى « عينا » بالنصب على انها عطف بيان او بدل من كافور (١) « يشرب بها عباد الله » علي وفاطمة والحسن والحسين ، وامثالهم من الكاملين في العبودية لله سبحانه الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ، الى آخر ما اشتملت عليه آيات الفرقان من صفاتهم الكاملة . وانما وصل فعل الشراب في الآية الاولى بمــن الابتدائية ، ووصله في الآية الثانية بباء الالصاق لان الكأس مبتدأ شربهم ، والعين يمزجون بها شرابهم ، فيكون المعنى يشربون الشراب بماء تلك العين ، كما تقول شربت المــاء

(١) وقيل تمزج لهم الكافور وتختم بالمسك ، وقيل بل فيها بياض الكافور ورائحته وبرده وكأنها مزجت به ، وعلى هذين القولين تكون عينا منصوبة على الاختصاص او على البدل من محل كأس بتقــدير حذف مضاف ، ويكون المراد من الكأس على هــذا نفس الشراب لا الزجاجة ، والتقدير حينئذ ان الابرار يشربون مــن شراب كان مزاجها كافورا شراب عين يشرب بهــا عباد الله .

بالعسل ، وهذه العين « يفجرونها » أي يجرونها حيث شاءوا من كل مكان ارادوا «تفجيرا» سهلا يسيرا لا تلحقهم فيه كافة ، ولا يجدون فيه من مشقة ، وقد بين الله سبحانه وتعالى السبب في استحقاقهم لهذه الكرامة ، فقال : « يوفون بالنذر » جوابا لسؤال مضمر ، تقديره ما الذي فعلوه فاستحقوا به هذا الجزاء ؟

وانت تعلم ان ليس المراد من وصفهم بالوفاء بالنذر الا المبالغة في وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات ، لان من وفى بما اوجبه هو على نفسه كان بما اوجبه الله عليه اوفى . وتلك شهادة لهم من الله تعالى ، ومن أصدق من الله قيلا لم يقتصر سبحانه في تزكيتهم بهذه الشهادة على المبالغة في وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات حتى بالغ في بعدهم عن المحرمات والشبهات بما وصفهم فيه من خشية الله والخوف من يوم القيامة ، حيث قال وهو اصدق القائلين : «ويخافون يوما كان شره مستطيرا » يريد بذلك ان هذا الخوف العظيم يستوجب كونهم نصب امره ونهيه ، وتلك منزلة المعصومين.

ومن تدبر القرآن الحكيم وغاص على اسراره البالغة، وجد في هذه الآيات البينات من عناية الله تعالى في هؤلاء الابرار امرا عظيما ، لا يوصف بكيف ولا يقدر بكم ، الا

ترى كيف رتب هذه الشبهات في تزكيتهم فكانت كل شهادة اكبر من سابقتها ، اذ شهد اولا بأنهم يوفون بالنذر ، ثم شهد ثانيا بأنهم يخافون يوما كان شره مستطيرا ، فكانت أعظم من الاولى لدلالتها بصريح العبارة على رسوخ الايمان بالله وباليوم الآخر ، ثم شهد لهم ثالثا بما هو اعظم من ذلك فقال : « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا » الضمير في حبه للطعام على الاظهر ، والمعنى انهم يطعمون الطعام مع حبه لشدة جوعهم بسبب صومهم ثلاثة ايام لا يذوقون في لياليها غير الماء ، وهذا على حد قوله تعالى « وآتى المال على حبه » وقوله سبحانه : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » وقوله « ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

وانما كانت هذه الشهادة اعظم لكشفها عن كمال نفوسهم ، وبلوغهم اقصى الغايات في حب الخير والايثار على انفسهم ، اشفاقا على المسكين ورأفة باليتيم وعطفة على الاسير . وانت تعلم انهم لو لم يؤثروهم لما كان عليهم في ذلك من جناح ، لكنهم مثلوا الحنان والرحمة بأجلى مظاهرهما حين لم يكونوا مكلفين بذلك ولا مسؤولين عنه ، وتلك من افضل صفات المقربين .

بقي اعظم الشهادات واجلها واقوى الادلة على تزكيتهم وأدلها ، الا وهو الذي اشار اليه سبحانه وتعالى حيث قال بلسان حالهم عن مكنون سرائرم : « انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء » بفعل تفعلونه « ولا شكورا » بقول تقولونه « انا نخاف (٢) من ربنا يوما » موصوفا على سبيل المجاز بكونه « عبوسا قمطريرا » شديد العبوس، تشبيها له في شدته وضرره وتخويفه بالاسد العبوس ، او بالحاكم المتنمر العبوس ، ويجوز وصفه بصفة اهله لعبوسهم يومئذ من شدة اهواله كقولهم « نهارك صائم » .

وانت اذا تدبرت بشائره لهم بالامن من اهوال ذلك اليوم ، تعرف مزيد عنايته بهم (ع) حيث لم يكتف منها ببشارة واحدة ، بل جعل البشائر مترادفة متوالية ، وكل واحدة منها اعظم من سابقتها . قال اولا : « فوقاهم الله شر ذلك اليوم » تأمينا لهم من شره وضره ، ثم اربى على ذلك فقال : « ولقاهم نضرة » في وجوههم « وسرورا » في قلوبهم بدل عبوس اعدائهم وحزنهم ، ثم ترقى في البشارة

(٢) فعن مجاهد « كما في الكشف وغيره » انهم لم يقولوا حين اطعموا الطعام شيئا وانما علمه الله منهم فأثنى به عليهم ، وهذا من عظيم عنايته بهم .

فقال : « وجزاهم بما صبروا » على الايثار مع شدة الجوع ابتغاء لمرضاة الله « جنة وحريراً » ، ثم لم يكتـــف في البشارة بالجنة على سبيل الاجمال حتى فصل فيها اكثـر الاحوال ، فقال تعالى : « ومتكئين فيها على الارائـك » فهم في منتهى الراحة والرفاهة والغبطة والحبور مستبشرين فكهين « لا يرون فيها شمسا » حرها يحمي « ولا زمهريرا » برده يـؤذي ، فالشمس والزمهرير هنا كنايـــة عن الحر والبرد (٣) ، وقد جمعوا بين البعد عنها ودنو الظلام عليهم، كما اشار اليه سبحانه بقوله : « ودانية عليهم ظلالها» بنصب دانية ، عطفا على محل الجملة التي قبلها (٤) لانها في محل

---

(٣) وقيل ان الزمهرير هنا انما هو القمر بقرينة مقابلته الشمس ، وانشدوا مما يدل على كونه من اسمـــاء القمر :

وليلـة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر

وعلى هذا فالمعنى ان الجنة ضياء لا حاجة فيها الى الشمس والقمر .

(٤) ويجوز عطفها على «جنة » فيكون المعنى وجزاهم جنة وحريرا وجنة اخرى دانية عليهم ظلالهـــا ، اذ انهم وصفوا بالخوف من ربهم في قوله تعالى : « انـــا نخاف من ربنا » وقد وعد الله الخائفـــين من ربهم بجنتين فقال : « لمن خاف مقام ربه جنتان » ويجوز =

النصب على الحالية من الممدوحين (ع) ، والتقدير متكئين على الارائك غير رائين شمسا ولا زمهريرا ودانيـــة عليهم ظلالها .

ثم لم يكتف سبحانه بهذا القدر من بيان كرامتهم حتى قال : « وذللت قطوفها تذليلا » والمعنى تدنو ظلالها عليهم في حال تذليل قطوفها لهم ، اذ الجملة هنا حالية من الضمير في دانية (٥) ، والمراد من تذليل قطوفها جعلها ذللا لا تمتنع على قاطفها متى اراد وكيف شاء ، ويجوز ان تكون مأخوذة من الذل بمعنى الخضوع لسهولة قطفها كيف شاء قطافها .

ولو اكتفى جل وعلا بهذا القدر من بيان فوزهم في

= ان نجعل متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات الجنة . وقرىء ودانية بالرفع على ان تكون خبرا مقدما والمبتدأ المؤخر ظلالها والجملة في محل الحال ، والتقــدير لا يرون شمســا ولا زمهريرا والحال ان ظلالها دانيـــة عليهم .

(٥) ويجوز عطفها على دانية ، اي ودانية عليهم ظلالا ومذللة لهم قطوفها واذا جعلت متكئين ولا يرون ودانية صفات للجنة فلتكن هذه الجملة صفة لها ايضا . هذا كله مع نصب دانية ، اما مع رفعها على الاخبار بها عن ظلالها فتكون هي وظلالها جملة ابتدائية والجملة من وذللت معطوفة عليها .

دار كرامته لكفاهم شرفا وفضلا ، لكنه سبحانه آثر الاطناب فيما تحدى به من معجزات الكتاب ليمثل بذلك عنايتــــه التامة فيهم تمثيلا ، وليفضلهم على من سواهم تفضيلا فقال: « ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب » خلقها الله تعالى بباهر قدرته واتقان صنعه ، فقال كوني من جنس الفضة في صفاء القوارير وشفيفها ولذا « كانت قواريرا (٦) قوارير من فضة » فتبارك الله احسن الخالقين ، كيف جمع فيهــا بين صفتي المعدنين المتباينين ثم لم يكتف سبحانه ببيــان جنس تلك القوارير وباهر وصفها حتى وصفها ايضا بقوله : « قدروها » في انفسهم « تقديرا » خاصا على كيفيــات مخصوصة تشتهيها نفوسهم وتلذ بها اعينهم فجــاءت كما قدروا على حسب ما يتمنون .

ثم شرح تبارك وتعالى ما يقع استعماله منهم في تلك الاكواب فقال : « ويسقون فيها كأسا » اي خمرة موصوفة بقوله : « كان مزاجها » الذي تمزج به ماء من عين الجنة تسمى « زنجبيلا » ، ويدلك على ان زنجبيلا اسم لعين في

---

(٦) الالف هنا للاطلاق ، وهي فاصلة بين قوارير الاولى والثانية ، وهما لا ينصرفان لكونهما في صيغة منتهى الجموع .

الجنة قوله تعالى : « عينا فيها » بالنصب على أنها عطف بيان او بدل من زنجبيلا ، ويجوز نصبها على الاختصاص او على كونها بدلا من كاسا بتقدير حذف مضاف ، ويكون المعنى ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا . كأس عين « تسمى سلسبيلا » لكونها في منتهى السلاسة يقال «شراب سلسل وسلسال » اذا كان سلسا سائغا سهل الانحدار ، ويقال سلسبيل اذا كان في غاية السلاسة .

لم يكتف عز وجل بقوله : « ويطـاف عليهم » حتى ذكر الطائفين عليهم القائمين بخدمتهم بأحسن الذكر وأجمله ووصفهم بألطف الوصف وأفضله فقال : « ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم » لجمال منظرهم وكمال هيئتهم وصفاء ألوانهم وبهاء أشكالهم وما يروق العالمين من حسنهم ولطفهم وانبثاثهم في انديتهم « لؤلؤا منثورا » وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من صدفه لحسنه وكثرة مائه.

لم يكتف جل وعلا بهذه التفاصيل كلها حتى افـاد سبحانه ان الاجمال فيما اعده الله لهم مما لا بـد منـه ولا مندوحة عنه لامتناع تفصيله بسبب قصور العبائر وعجـز افهام الناس وقصر ادراكهم ، ولـذا قال وهو اصـدق القائلين : « واذا رأيت ثم » فلم يجعـل مفعولا لرأيت لا

ظاهرا ولا مقدرا لتكون الرؤية عامة لجميع ماثمة ، والمعنى انك اذا اوقعت رؤيتك هناك على اي شيء من الاشياء تجدك قد « رأيت نعيما » عظيما تضيق عنه الاوهام « وملكا كبيرا » تنقطع دونه المعاني ولا يمكن وصفه الا بهذا المقدار .

وهذه الآية ابلغ في كرامتهم من كل ما تقدم ، وقد تدبرها من تدبرها فعلم ان فيها من فضلهم ما لا يحيط به الا الله تعالى ، ومع ذلك لم ينته ذكره سبحانه لهم ووعده اياهم بما هم اهله بل قال : « عاليهم (٧) ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا اساور من فضة » فهم مزدانون بحلي الكرامة رافلون في حلل دار المقامة «و» قد « سقاهم ربهم » جل وعلا هذا الساقي وتبارك ما اعظم عنايته فيهم وأجل اهتمامه ببيان كرامتهم ، اذ نسب الساقي على سبيل المجاز الى جلالته تعالى ، فما يقول الواصف بعدها وان أطنب ، وما عسى ان يصف القائل فيهم وان اسهب ، وما ظنك بمن يسقيهم ربهم بكأسه الاوفى « شرابا طهورا » يرشح بعد ذلك من أبدانهم عرقا اطيب من ريح المسك ، لا

(٧) بنصب عاليهم لكونه حالا من ضمير عليهم في قوله « ويطوف عليهم ولدان » . وقد يقال انها حال من ولدان ، وقرىء عاليهم بالسكون على انه مبتدأ وخبره ثياب سندس خضر واستبرق .

كخمر الدنيا رجسا نجسا خبيثا منتنا سالبا للعقل متلفــا للجسم مسقطا للمروءة معصورا بالايدي الوضرة مدوسـا بالارجل القذرة موضوعا في دناق قد لا تسلم من الجراثيم السامة وأباريق قد لا يعنى بتنظيفها مــدارة بكـؤوس تداولتها الايدي الاثيمة وولغت فيها الافواه البخرة .

رأيت هداك الله اذا امعنت النظر فيما ألقاه عز وجل اليهم في ختام البشائر العظيمة والمواهب الجسيمة تتمثـل لك عناية الله بهم قالبا حسيا ، وترى كرامتهم عليه وسمو منزلتهم لديه شخصا مرئيا ، وذلك انه ختم كلامه في شؤونهم بقوله مخاطبا لهم (ع) : « ان هذا » الاكرام العظيم الذي فصلناه في محكم الذكر تفصيلا وفضلنـاكم على العالمـين تفضيلا « كان لكم جزاء » على اعمالـكم المقدسـة التي استوجبت هذا الاكرام الجسيم لم تنالوه بشفاعة اوبمجرد فضل ، وانما اخذتموه بالاستحقـاق والعـدل « وكان سعيكم » مع ذلك كله « مشكورا » ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

بقيت نكتة شريفة وحكمة من حكم الفرقان منيفـة حاصلها : ان هـذه السورة المبـاركة كما بشرت هـؤلاء الابرار (٨) فقد انذرت اعداءهم الظالمين الكفار بما اعد الله

---

(٨) يجب ان يعلم ان آيات الثناء والبشائر في سورة الدهر=

لهم من السلاسل والاغلال والعذاب الاليم وسعير النار ، فامعن النظر اليها تجد التصريح بذلك في كل من طرفيها ، كما لا يخفى على الخواضين لعباب الذكر الحكيم ، الغواصين على كل سر من اسراره عظيم ، المتدبرين لمواقع كلمه ، والمستقصين في البحث والتنقيب عن حكمه الذين اذا قرأوا القرآن او سمعوا له اصغوا اليه بمجامع قلوبهم وخشعت لهيبته جميع جوارحهم ، فبخعوا لمعانيه ومراميه وخضعوا لاوامره ونواهيه ، جعلنا الله في جملة من منّ عليهم بذلك انه ارحم الراحمين .

في دلالة السنة المقدسة ، وفيها من الاحاديث الصحيحة

= كلها لعلي وفاطمة والحسن والحسين، وآيات الوعيد والذم والتهديد فيها لاعدائهم ، بقرينة ان السبب في نزول تلك السورة بتمامها انما هم عليهم السلام ، لكن الالفاظ في كل من المقامين عامة شاملة لكل من اتصف بتلك الاوصاف . وعلى هذا فالبشائر والمدائح في تلك السورة تتناول عليا وفاطمة والحسن والحسين اولا وبالذات ثم تتناول من اتصف بصفاتهم ثانيا وبواسطة دخولهم في تلك العمومات ، وكذلك القول في آيات الذم والوعيد فانها تتناول اولا وبالذات أعداء اولئك الابرار الذين كانوا سببا في نزول السورة بأجمعها ثم تتناول غيرهم لدخوله في العموم حيث ان المورد لا يخصص الوارد ، فاحفظ هذا فانه ينفعك في كثير من الآيات ان شاء الله تعالى .

والنصوص الصريحة مما تضيق عنه هذه الرسالة ولا تحتمله هذه العجالة ، وانما نذكر منها اثني عشر حديثا تبركا بهذا العدد الميمون :

(١) ــ قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أفضل نساء اهل الجنة خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وآسيا بنت مزاحم امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران . أخرجته جماعة من المحدثين كثيرون كالامام احمد من حديث رواه عن ابن عباس في صفحة ٢٩٣ من الجزء الاول من مسنده وابي داوود كما في ترجمة خديجة من الاستيعاب وقاسم بن محمد كما في ترجمة الزهراء من الاستيعاب وجماعة من حملة الآثار وحفظة الاخبار لا يسع المقام استيفاءهم .

(٢) ــ قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : خير نساء العالمين اربع : مريم بنت عمران ، وآسيا بنت مزاحم ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد . أخرجه ابو داوود كما في ترجمة خديجة من الاستيعاب بالاسناد الى انس ، ورواه عبد الوارث بن سفيان كما في ترجمتي الزهراء وخديجة من الاستيعاب بالاسناد الى ابي هريرة ، ونقله غير واحد من ثقاة المحدثين بطرقهم الى انس وابي هريرة .

(٣) ــ قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وآسيا امرأة فرعون . أخرجه الترمذي كما في الاربعين للنبهاني [1] عن انس ورواه عنه ايضا السراج كما في ترجمة الزهراء من الاستيعاب ، وأخرجه ابو داوود كما في ترجمة خديجة من الاستيعاب ، ونقله الشعبي كما في ترجمة الزهراء من الاصابة عن جابر ، ولا يسعنا استقصاء من أخرج هذا الحديث بطرقهم المختلفة الى انس وجابر .

وانت تعلم ان هذه الاحاديث الثلاثة ونحوها نصوص جلية في تفضيل الاربع على سائر نساء البرية ، ولا تعرض فيها لبيان الافضل من تلك الاربع لكن صحاحنا المتواترة عن أئمة العترة الطاهرة نصوص في تفضيل الزهراء صريحة لا تقبل التأويل ، كما يشهد به كل من انعم الله عليه بالاستسلام لحكمها .

وحسبك في تفضيل الزهراء انها بضعة من سيد الانبياء ولا نعدل به ولا ببضعته احدا من العالمين . وقد وافقنا في تفضيلها جمهور المسلمين وصرح به كثير من المحققين نقل

---

(١) راجع صفحة ٢٢٠ من كتاب الاربعين . الاربعين من احاديث سيد المرسلين .

ذلك عنهم غير واحد من العلماء الباحثين المتتبعين ، كالمعاصر النبهاني حيث قال في احوال الزهراء من كتابه « الشرف المؤبد » ما هذا لفظه : وصرح بأفضليتها على سائر النساء حتى على السيدة مريم كثير من العلماء المحققين ، ومنهم التقي السبكي والجلال السيوطي والبدر الزركشي والتقي المقريزي . « قال » وعبارة السبكي حين سئل عن ذلك : الذي نختاره وندين به ان فاطمة بنت محمد افضل . « قال » وسئل عن مثل ذلك ابن ابي داوود فقال: ان رسول الله(ص) قال « فاطمة بضعة مني » ولا اعدل ببضعة رسول الله احدا ونقل المناوي هذا عن جمع من الخلف والسلف فراجع .

(٤) ـ ما استخرجه ابو داوود كما في ترجمة خديجة من الاستيعاب بسنده الى ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) سيدة نساء اهل الجنة بعد مريم بنت عمران فاطمة بنت محمد وخديجة وآسيا ا هـ . وهذا كالاحاديث السابقة في الدلالة على تفضيل الاربع على من سواهن من نساء العالمين ، الا انه ربما يستشعر منه تفضيل العذراء على الزهراء ، لكن الادلة الاخر التي هي اكثر عددا واصح سندا وأصرح دلالة من هذا الحديث ونحوه توجب الاعراض عما يستشعر منه على انه لا يرى من طريق اصحابنا كما لا يخفى .

(٥) ــ ما اخرجه البخاري (٢) ومسلم (٣) والترمذي في صحاحهم وصاحب الجمع بين الصحيحين وصاحب الجمع بين الصحاح الستة والامام احمد من حديث الزهراء مــن مسنده (٤) وابن عبد البر في ترجمتها من استيعابه ومحمد ابن سعد في ترجمتها من الجزء الثامن من طبقاته وفي باب ما قاله النبي في مرضه من المجلد الثاني من الطبقات ايضا، واللفظ الذي تسمعه للبخاري آخر ورقة من كتــــاب الاستئذان من الجزء الرابع من صحيحه قال : حدثنا موسى انا كنا ازواج النبي عنده جميعا لم تغادر منا واحدة ، فأقبلت فاطمة تمشي لا والله ما تخفي مشيتها من مشيــة رسول الله (ص) فلما رآها رحب وقال : مرحبا بابنتي ، ثم اجلسها عن يمينه او عن شماله ثم سارّها فبكت بكاء شديدا فلمــا رأى حزنها سارها الثانية اذا هي تضحك فقلت لها انا من بين نسائه : خصك رسول الله (ص) بالسر من بيننا ثم انت تبكين ، فلما قام رسول الله (ص) سألتها عما سارك قالت : ما كنت لأفشي على رسول الله سره ، فلما توفي قلت لها :

---

(٢) راجع آخر صفحة ٦٤ من الجزء الرابع من صحيحــه المطبوع بالمطبعة المليحية سنة ١٣٣٢ .

(٣) راجع باب فضائل فاطمة من الجزء الثاني من صحيحه تجد طرقه في هذا الحديث الى عائشة متعددة .

(٤) راجع صفحة ٣٨٢ من الجزء السادس من المسند .

عزمت عليك بما لي عليك من حق لما أخبرتني ؟ قالت : اما الآن فنعم ، فأخبرتني قالت : اما حين سارني في الامر الاول فانه اخبرني ان جبرئيل كان يعارضه بالقرآن كل سنة مرة وانه قد عارضتني به العام مرتين ولا ارى الاجل الا قد اقترب ، فاتقي الله واصبري فاني نعم السلف انا لك ، قالت : فبكيت بكائي الذي رأيت فلما رأى جزعي سارني الثانية قال : يا فاطمة الا ترضين ان تكوني سيدة نساء المؤمنين او سيدة هذه الامة ا هـ . ولفظه فيما ذكره ابن حجر في ترجمتها من الاصابة وغير واحد من المحدثين « الا ترضين ان تكوني سيدة نساء العالمين » وكيف كان فالحديث صحيح والنص في تفضيلها صريح .

واخرج ابن سعد في باب ما قاله النبي لها في مرضه من المجلد الثاني من طبقاته بالاسناد الى ام سلمة قالت : لما حضر رسول الله (ص) دعا فاطمة فناجاها فبكت ثم ناجاها فضحكت ، فلم أسألها حتى توفي رسول الله (ص) فسألتها عن بكائها وضحكها فقالت : اخبرني انه يموت ثم اخبرني اني سيدة نساء اهل الجنة ـ الحديث . واخرجه ايضا ابو يعلى كما في ترجمة الزهراء من الاصابة بالاسناد الى ام سلمة ، ورواه عنها غير واحد من اهل الحديث .

(٦) ـ ما اخرجه جماعة من الحفظة واهل الضبط ممن

حملوا العلم بأسانيده وطرقه كابن عبد البر في ترجمتها عليها السلام من الاستيعاب ان النبي (ص) عادها وهي مريضة فقال : كيف تجدينك يا بنية ؟ قالت : اني لوجعة وانه ليزيدني اني ما لي طعام آكله . قال : يا بنية اما ترضين انك سيدة نساء العالمين ؟ قالت : يا أبة فاين مريم بنت عمران . قال تلك سيدة نساء عالمها وانت سيدة نساء عالمك ، واما والله لقد زوجتك سيدا في الدنيا والآخرة اهـ .

(٧) ـ ما اخرجه احمد والترمذي والنسائي وابن حيان « كما في الفصل الثالث من الباب ١١ من الصواعق المحرقة لابن حجر » عن حذيفة ان النبي (ص) قال له : اما رأيت العارض الذي عرض لي قبل ذلك هو ملك لم يهبط الى الارض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه عز وجل ان يسلم علي ويبشرني ان الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة ، وان فاطمة سيدة نساء اهل الجنة ا هـ .

واخرج ابن حيان وغيره ـ كما في احوال الزهراء من الشرف المؤبد وغيره ـ عن ابي هريره قال: قال رسول الله (ص) ان ملكا من السماء لم يكن زارني فاستأذن ربي في زيارتي فبشرني ان فاطمة سيدة نساء امتي ا هـ .

(٨) ـ ما اخرجه حفظة الاخبار وحملة الآثار كعبد الرحمن بن ابي نعيم ـ كما في ترجمة الزهراء من

الاستيعاب والاصابة وغيرهما ـ عن ابي سعيد الخدري قال : قال رسول الله (ص) فاطمة سيدة نساء اهل الجنة ـ الحديث .

(٩) ـ ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما ـ كما في ترجمة الزهراء من الاصابة وغيرها ـ عن المسور قال : سمعت رسول الله (ص) يقول على المنبر : فاطمة بضعة مني ، يؤذيني ما آذها ويريبني ما رابها .

ونقل النبهاني في احوال الزهراء من الشرف المؤبد عن البخاري بسنده الى رسول الله (ص) قال : فاطمة بضعة مني ، يغضبني ما يغضبها . قال : وفي رواية فمن اغضبها اغضبني . قال : وفي الجامع الصغير : فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها . وقالت بأبي هي وامي لابي بكر وعمر ـ كما صرح به الامام ابن قتيبة في اوائل كتاب الامامة والسياسة ـ : نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله (ص) يقول : رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي ، فمن احب ابنتي فاطمة فقد احبني ومن ارضى فاطمة فقد ارضاني ومن اسخط فاطمة فقد اسخطني؟ قالا : نعم سمعناه من رسول الله (ص) . وهذا من الاحاديث المتواترة عن أئمة العترة الطاهرة وكفى به حجة لتفضيلها على من سواها من نساء العالمين ، وهل يعدل مسلم ببضعة

النبي (ص) وبقيته في أمته احدا من الناس ؟ وقد تدبر هذا الحديث من تدبره من أولي الالباب فرآه يرمي الى عصمتها لدلالته على امتناع وقوع كل من أذيتها وريبتها وغضبها وسخطها ورضاها وانقباضها وانبساطها في غير محله ، كما هو الشأن في أذية النبي (ص) وريبته ورضاه وسخطه وانقباضه وانبساطه وهذا كنه العصمة وحقيقتها كما لا يخفى .

(١٠) ـ ما اخرجه ابن ابي عاصم ـ كما في ترجمتها من الاصابة ـ بسنده الى علي عليه السلام قال : قال رسول الله (ص) لفاطمة : ان الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك . واخرجه الطبري وغيره باسناد حسن كما في احوالها من الشرف المؤبد وغيره ، وهو في الدلالة على تفضيلها وعصمتها كالحديث السابق .

(١١) ـ ما اخرجه جماعة من اثبات المحدثين واعلامهم كالامام احمد بن حنبل من حديث ابي هريرة في صفحة ٤٤٢ من الجزء الثاني من مسنده قال : نظر النبي (ص) الى علي والحسن والحسين وفاطمة فقال : أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم .

وأخرج الترمذي من حديث زيد بن أرقم كما في ترجمة الزهراء من الاصابة ان رسول الله قال : علي وفاطمة والحسن والحسين انا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم اهـ .

وهذا الحديث في الدلالة على تفضيلها وعصمتها كسابقه وفيه دلالة على كفر محاربيهم كما ترى .

(١٢) ـ ما أخرجه المحدثون بالاسناد الى علي واللفظ لاحمد في صفحة ١٠١ من الجزء الاول من مسنده عن عبد الرحمن الازرق عن علي قال : دخل عليّ رسول الله (ص) وانا نائم على المنامة فاستسقى الحسن أو الحسين قال: فقام النبي (ص) الى شاة لنا بكيء (٥) فحلبها فدرت فجاءه الحسن فنحاه النبي (ص) فقالت فاطمة : يا رسول الله كأن اخاه احبهما اليك . قال : لا ولكنه استسقى قبله . ثم قال : اني واياك وهذين وهذا الراقد في مكان واحد يوم القيامة ا هـ .

بخ بخ هذا هو الفضل الذي بخع له الاولون والآخرون ، فلا يلحقهم بعده لاحق ولا يطمع في ادراكهم طامع، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

هذا آخر ما وسعته العجالة واحتملته هذه الرسالة وقد استقصينا في سبيل المؤمنين(٦) كل ما يدل على تفضيلهم عليهم السلام .

---

(٥) اي قل لبنها وقيل انقطع ، وهذا الحديث اشار اليه صاحب لسان العرب في مادة بكأ .

(٦) نكبنا في سبيل المؤمنين سنة ١٩٢٠ غربية وهي سنة ١٣٣٨ هجرية يوم رزئنا بجل ما الفناه قبل تلك النازلة التي عمت ابناء عاملة واختصت بهذا الضعيف حيث =

وحسبك في تفضيلها بالخصوص ما اخرجه الطبراني

= اوغل الغاشمون في طغيانهم ولجوا في عدوانهم ومضوا في التنكيل والتقتيل والتشريد على غلوائهم واطلقوا في البنادق والمشانق والنهب والضرب والتحريق والتمزيق اعنة اهوائهم ، ركبوا في ذلك رؤوسهم متهافتين في اعمالهم لا يلوون على احد ، وكنت في طليعة من تبدد وتشرد وليتهم كفوا عن تلك الكتب القيمة واكتفوا بما سواها . عند الله احتسب تلك المؤلفات التي افنيت فيها عمري ورهقني بفقدها ما نقض مرة صبري ، فانا لله وانا اليه راجعون .

انشد الله امرءا وقع في يده شيء منها الا اثلج به كبدي الحرى فان لكل كبد حرى اجرا ، واليك ضالتي المنشودة ونفائسي المفقودة ١ ـ شرح التبصرة على سبيل الاستدلال خرج منه كتاب الطهارة وكتاب القضاء والشهادات وكتاب المواريث في ثلاثة مجلدات ٢ ـ تعليقة على استصحاب رسائل الشيخ في مجلد واحد ٣ ـ رسالة في منجزات المريض استدلالية ٤ ـ سبيل المؤمنين ثلاثة مجلدات في امامة أئمتنا الاثني عشر واحوالهم ومناقبهم وهديهم (ع) لا نظير له في موضوعه ٥ ـ النصوص الجلية في امامة العترة الزكية يشتمل على ثمانين نصا اربعين مما اجمع على صحته المسلمون واربعين مما انفردت به الامامية وفيه وفي سبيل المؤمنين ما شئت من ادلة عقلية ونقلية وحكمة فلسفية ٦ ـ تنزيل الآيات الباهرة في فضل العترة الطاهرة مجلد واحد يشتمل على مائة آية نزلهم فيهم بحكم الصحاح =

في ترجمة ابراهيم بن هاشم من معجمه الاوسط عن عائشة

= المجمع على تصحيحها وقد تكلمنا فيه وفي سبيل المؤمنين بما يوجبه التحقيق في العلوم مجانبين فيها الاطناب الممل والايجاز المخل ٧ ـ تحفة المحدثين فيما اخرج عنه الستة من المضعفين وهذا هو المعجم الاول الذي لم يكتب قبله في هذا الموضوع ٨ ـ تحفة الاصحاب في حكم اهل الكتاب ٩ ـ الذريعة في نقض البديعة (اعني بديعة النبهاني) ١٠ ـ المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة اربعة مجلدات الاول في السيرة النبوية الدالة بمجردها على نبوته (ص) آلثاني في سيرة امير المؤمنين والزهراء والحسن المجتبى ذكرنا منها ما يدل بحكم الفلسفة العقلية على عصمتهم الثالث خاص بسيد الشهداء على وتيرة الاول والثاني ، والرابع في سيرة التسعة اقتصرنا منها على ما يدل بمجرده على امامتهم وعصمتهم وفي هذه المجالس من الفلسفة ما يحكم العقل والنقل بصحته ـ وقد طبعت مقدمتها فكانت رسالة لها السبق في موضوعها ١١ ـ المناظرات الازهرية والمباحثات المصرية كتاب يشتمل على مهمات المسائل الخلافية متكفلا باثبات الحق من طريق مخالفيه ١٢ ـ مختصر الكلام في مؤلفي الشيعة من صدر الاسلام خرج منه مجلد واحد نشر عنه العرفان في مجلداته الاول والثاني والثالث ، تراجم كثير من الاعاظم ١٣ ـ بغية الفائز في نقل الجنائز نشرت العرفان جلها ١٤ ـ بغية السائل عن لثم الايدي والانامل رسالة فيها اربعون حديثا من طريقنا واربعون من طريق غيرنا ادلة=

قالت : ما رأيت احدا قط افضل من فاطمة غير ابيها . وسند هذا القول الى عائشة صحيح على شرط البخاري ومسلم ، صرح بذلك ابن حجر في ترجمة الزهراء من اصابته والنبهاني في آخر صفحة ٥٨ من الشرف المؤبد .

واخرج ابن عبد البر في ترجمة الزهراء من استيعابه بالاسناد الى ابن عمير قال : دخلت على عائشة فسألتها اي الناس كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قالت . فاطمة قلت : فمن الرجال ؟ قالت : زوجها .

واخرج في ترجمتها (ع) من الاستيعاب ايضا عن بريدة قال : كان احب الناس الى رسول الله من النساء فاطمة ومن الرجال علي . وقالت عائشة : ما رأيت احدا اصدق لهجة من فاطمة الا ان يكون الذي ولدها (ص) . اخرجه ابن عبد البر في ترجمة الزهراء من استيعابه . والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما كثيرا .

= على الموضوع وتكلمنا فيها بهذه المناسبة في مطلق التقبيل فكانت رسالة علمية ادبية فكاهية ١٥ ـ زكاة الاخلاق رسالة شريفة نشرت مجلة العرفان الغراء لمعا منها ١٦ ـ الفوائد والفرائد يعرف موضوعها من اسمها ١٧ ـ تعليقة على صحيح البخاري ١٨ ـ تعليقة على صحيح مسلم ١٩ ـ الاساليب البديعة في رجحان مآتم الشيعة كتاب لم يسبق له في ادلته العقلية والنقلية نظير « ودع عنك نهبا صيح في حجراته » .

وكان الفراغ من تأليفها في مدينة صور مستهل رجب سنة الف وثلاث مائة وست واربعين هجرية بقلم مؤلفها الاقل عبد الحسين ابن الشريف يوسف بن الجواد بن اسماعيل بن محمد بن محمد (٧) بن ابراهيم ويلقب شرف الدين بن زين العابدين بن علي نور الدين علي ابن الحسين بن محمد بن الحسين بن علي بن محمد بن تاج الدين المعروف بأبي الحسن بن محمد بن عبد الله بن احمد بن سعد الله بن حمزه بن محمد بن محمد بن عبدالله ابن محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن طاهر بن الحسين بن موسى بن ابراهيم المرتضى بن الامام ابي الحسن موسى(٨) الكاظم بن الامام ابي عبدالله الصادق بن الامام ابي جعفر الباقر بن الامام زين العابدين علي بن الامام ابي عبدالله الحسين سيد الشهداء وسبط سيد الانبياء وخاتم المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم عليهم اجمعين .

(٧) الى محمد هذا ينتهي نسب والدة المؤلف ايضا فانها كريمة الهادي بن محمد علي بن صالح بن محمد المذكور .

(٨) يقال للمؤلف « موسوي » نسبة الى هذا الامام كما يقال ذلك لكل حسيني تفرع عن شجرة موسى الكاظم عليه السلام . تمت التعليقة بقلم مؤلفها الاقل عبد الحسين شرف الدين الموسوي سنة ١٣٤٦ والحمد لله .